الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
inistry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله
Abu Al-kasimSaadallah University - Algiers2 (AASUA)
كلية العلوم الإنسانية
Faculty of Human Sciences(FHS)
قسم التاريخ
Department of History

مطبوعة بيداغوجية خاصة بمقياس حضارة مصر الفرعونية

A pedagogical publication for the Pharaonic Egyptian Civilization course

إعداد أ.ة غنية بلحفصي
أستاذة محاضرة –ب–

السنة الأولى ماستر
السداسي الثاني

2025-2024

الملخص:

هذه المطبوعة البيداغوجية عبارة عن مجموعة من المحاضـرات تتناول بالدراسـة تاريخ مصر الفرعونية، وذلك من خلال مجموعة من الدروس التي تشمل جوانب عن هذه الحضارة التي تعتبر واحدة من أهم حضـارات العالم القديم، لما قدمته للإنسـانية من إنجازات حضـارية شـملت كل جوانب الحياة، فقد برع المصـريون القدماء في عدة مجالات وكان من أهم عوامل ازدهارها وتطورها موقعها الاستراتيجي والامكانيات الطبيعية والبشرية التي تمتعت بها مصر، ونستهل هذه المطبوعة بالتعريف بحضارة مصر الفرعونية وأصل تسميتها، النطاق الجغرافي والمناخ، نظام الحكم والجانب السـياسـي، وجوانب من الحياة الدينية وكذا أهم المظاهر التي تميزت بها لاسيما الجانب العمراني، الفني والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: مصر – الحضارة– الفرعونية– نظام الحكم– الدين– الاقتصاد.

Abstract:

This pedagogical publication is a collection of lectures that examine the history of Pharaonic Egyptian civilization. It is delivered through a series of lessons that cover aspects of this civilization, considered one of the most important civilizations of the ancient world, due to the cultural achievements it provided to humanity that encompassed all aspects of life. The ancient Egyptians excelled in several fields, and among the most important factors in its prosperity and development were its strategic location and the natural and human resources Egypt enjoyed. This publication begins by introducing Pharaonic Egyptian civilization and the origin of its name, its geographic scope and climate, its system of government and political aspects, aspects of religious life, and its most important features, particularly its urban, artistic, and economic aspects.

Keywords :Egypt - Civilization - Pharaonic - System of Government - Religion - Economy.

مقدمـــــــــــــة:

إن دراســة التاريخ القديم هو الأســاس الذي يقوم عليه التاريخ بشـكل عام والتخصــص بشــكل خاص، فهي تســاعد الطالب في معرفة جذور المعرفة وخلفيات الفكر الإنســاني في مختلف مجالاته والعوامل المؤثرة فيه، ويعطينا تصــورا واضــحا عن العالم القديم والتجارب التي مر بها الانســان، وهو يحفظ تراث الشــعوب وما كان من شــأن الأمم البائدة، ويؤدي البحث في هذا التخصــص والتعمق فيه إلى إدراك الأســباب التي تقف وراء تقدم الإنســانية وتطور العقل البشري وما صاحبه من تقدم في العلوم، النظريات والأفكار المختلفة وغيرها.

ومقياس حضارة مصر الفرعونية هو وحدة هامة وأساسية في مسار طلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الحضارات القديمة، وهو ضمن المقاييس المدرجة خلال السداسي الثاني، يتلقى فيه الطلبة دروسا ومحاضرات تتضمن معلومات تفصيلية عن هذه الحضارة، من التعريف بها، تحديد موقعها الجغرافي وإطارها التاريخي، إلى العصور والمراحل التاريخية النى مرت بها، وكذا نظام الحكم، الدين، التغيرات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وما صاحبها من تطورات ثقافية وفنية.

ومن خلال هذا المقياس يمكن للطلبة التعرف كذلك على أهم مصــادر الحضــارة المصــرية القديمة، المادية والأدبية، وعلى الشــواهد الأثرية التي مازلت ماثلة إلى يومنا هذا تشهد على ما توصل إليه الانسان القديم من تطور وازدهار.

الوحدة تعليمية: أساسية

البرنامج العام للمقياس حسب عرض التكوين

1- تعريف الحضارة الفرعونية ونطاقها الجغرافي

2-عصور الحضارة (العتيق، الوسيط، الحديث، والعصور المتأخرة)

3-نظام الحكم عند الفراعنة

4-المعتقدات الدينية

5-العلوم والكتابات

6-الفنون والعمارة

7-التجارة

البرنامج المفصل للوحدة:

1- تعريف الحضارة الفرعونية.

2- مصادر الدراسة.

3- النطاق الجغرافي للحضارة الفرعونية.

4- عصور الحضارة الفرعونية: العتيق- القديم - الانتقال الأول – الوسيط - الانتقال الثاني – الحديث- العصر المتأخر.

5- نظام الحكم عند الفرعنة.

6- المعتقدات الدينية: نشأة وتطور الفكر الديني.

7- خصائص الديانة والمعبودات.

8- المؤسسة الكهنوتية والطقوس الدينية.

9- العلوم والكتابات.

10- الفنون.

11- العمارة.

12- الاقتصاد في مصر الفرعونية: الزراعة

13- الصناعة.

14- التجارة.

المحاضرة الأولى: تعريف الحضارة الفرعونية

هي واحدة من أهم الحضارات الإنسانية التي نشأت وازدهرت في الشمال الشرقي للقارة الافريقية على ضفاف نهر النيل، توفرت الدلائل الأثرية على أن بدايات الحضارة قد قامت قبل العصور التاريخية بفترة طويلة من الزمن، وتطورت وازدهرت عبر قرون من الزمن وهذا راجع لعدد من الظروف والعوامل المختلفة.

إن الدراسة الموضوعية لتاريخ وحضارة مصر الفرعونية تتوجب إلقاء الضوء بتمعن ودقة على تلك المظاهر الحضارية التي مر بها الفكر الإنساني في تلك الأزمنة المبكرة، وتتطلب تلك الدراسة أيضا ضرورة الإلمام بالكثير من التجارب الإنسانية ومراحل تطورها، نظرا للإرث الهام الذي خلفه المصريون القدماء والذي شمل جميع المجالات، وجزء وافر منه مازال شاهدا على تلك الفترة من التاريخ.

1-الحضارة الفرعونية أم الحضارة المصرية القديمة:

هناك اختلاف بين الدارسين في مسألة التسمية التي أطلقت على هذه الحضارة، هل هي الحضارة الفرعونية أم الحضارة المصرية القديمة؟

لقد تمحور الاختلاف والنقاش حول ما إذا كان مصطلح "فرعون" اسم أم لقب لملك أو لمجموعة من الملوك الذين حكموا في فترة معينة، وهو بالتأكيد المصطلح الدال على فترة حكم الأسرات الممتدة ما بين 3200 ق.م -332 ق.م.

أما المصطلح الثاني "مصر القديمة" فهو مصطلح أوسع يشمل فترات تاريخية متعاقبة عاشتها مصر خلال عقود من الزمن، تميزت كل فترة بمميزات وسمات اختلفت عن الأخرى، ويمتد تاريخ مصر القديمة من بداية عصر الأسرات إلى غاية الفتح الإسلامي كالتالي:

- العصـر الفرعوني 3200 ق.م – 332 ق.م : أو عصـر الأسـرات – وهي الفترة قيد الدراسـة – تمتد من توحيد مصـر وظهور الكتابة إلى غاية دخول الاسكندر المقدوني وبداية عصر البطالمة أو البطالسة.
- العصـــر البطلمي 332 ق.م – 30 ق.م : نســـبة إلى بطليموس الأول أحد قادة الاسكندر المقدوني –الذي تولى حكم مصر بعد وفاة هذا الأخير– وأصبح "بطليموس" لقبا تقلده خلفاؤه من بعده.
- العصر الروماني 30 ق.م – 641 م: امتد هذا العصر حتى نهاية العصر القديم في مصـر. ملاحظة: بعد سـقوط روما اسـتمر الحكم الروماني على مصـر وانتقل إلى البيزنطيين، شهدت مصر عدة تغيرات سياسية حتى الفتح الإسلامي.

2-أصل التسمية:

اختلفت التسميات التي أطلقت على مصر باختلاف العصور والأزمنة، وذلك باختلاف الأوضـاع السـياسـية، الدينية، الاقتصـادية والاجتماعية التي مرت بها هذه الحضـارة، كذلك حسب المصدر اللغوي للتسمية.

أ- **في اللغة المصرية القديمة:** سميت مصر بعدة تسميات أشهرها:

- كيميت أو كمت: أو تاكيما أي بمعنى الخمرية، السـوداء أو أرض السـواد نسـبة إلى الخصب والأراضي الزراعية المتواجدة على ضفاف النيل، ولفظ "كم" و "كيم" في اللغة المصـرية القديمة ترمز إلى صـفة السـواد ومؤنثها "تاكيما" و"كيمت" فقيل: " كم نجرح" أي سواد الليل و"كم إيرة" أي سواد العين"، واعتبروا طابع السمرة أو السواد ميزة تفرق تُفرق بينها وبين اصفرار الصحراء التي أطلقوا عليها اسم "دشرت" من شدة حرها.[1]
- **دشرت:** أي الحمراء أو الأرض الصحراوية وهي المساحة الأكبر من مصر[2].

---

[1] عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة و آثارها ،ج 01، في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالث ق .م ، مكتبة ا الأنجلو -مصرية ، ط 1، 1962، ص 1-2.

[2] المرجع نفسه، ص 3.

- **تاوى:** وتعني الأرضين: - **تامحو:** أرض الدالتا أو مصر السفلى.
  - **تاشمعو:** أرض الصعيد أو مصر العليا.

وظلت ارتباط مصر بالنيل، والفيضان والزراعة ارتباطا وثيقا في تصوراتهم لأرضهم فأطلقوا عليها اسم "إيدبوى" أي الضفتين أو أرض الضفتين، إشارة منهم إلى تمركز العمران على جانبي نهر النيل[1].

- **تامري:** الأرض الخصبة التي كانت تغمرها مياه فيضان النيل، كذلك معناها الأرض المحمية[2].

ب- **في اللغات المجاورة:** وردت أسماء لمصر في اللغة الأكادية والآشورية القديمة وكذلك في رسائل كنعانية موجهة لملوك مصر، وردت فيها تسميات منها: "ماتو مصري، مشري، مصري...".

ت- **في اللغة العربية:** مصر وجمعها أمصار ومصور، بمعنى المدن الكبرى والأقطار، والمِصْرُ هو الحاجز بين الشيئين أو بين الأرضين.

ث- **في كتب المقدسة:** جاء ذكر مصر في التوراة والانجيل والقرآن في عدة مواضع، وقد تناولت الدراسات هذا الموضوع بإسهاب، فقد ورد في نصوص التوراة "مَصُر" أو "مصور" و "مصراييم" بمعنى أرض مصر، أما في القرآن الكريم فقدُ طر اسم مصر صراحة في عدد من الآيات البينات، مثل قوله تعالى: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ" (يوسف: 99).

ج-**في المصادر الاغريقية:** أما الاسم اليوناني "إيجيبتوس" Egyptos الذي اشتقت منه Egypt فيرى الباحثون بأنها مشتقة من اللغة المصرية القديمة "حت كا بتاح" وهو اسم إله ومعبد مدينة "منف"، وآ"جب" أو "آكب" كلها مترادفات من اللغة المصرية

---

[1] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 3.

[2] المرجع نفسه، ص 5-8.

القديمة كانت تدل على المياه الأزلية التي خرج منها الإله الخالق للكون والموجودات، إلى النيل والفيضـــان والأرض المغمورة بالفيضـــان، ومع مرور الوقت أطلق الإغريق هذا المصـــطلح على الأرض نفســـها، لكن لصـــعوبة النطق به حُرّف إلى إيجيبتو وإضـافة السـين إليها فنُطقت إيجيبتوس على كامل أرض مصـر، وهناك من يرى بأن ايجبتوس هي البلد الواقع أســفل بحر إيجة، ويعود أقدم ذكر لمصـــر إلى ما جاء في كتابات هوميروس "آيجو بتوس" للدلالة على النيل وأرض النيل، ثم اقتصـــر على أرض النيل، وفي عصر الرومان ظهرت تسمية "آيجبتوس".

أهرامات الجيزة وتمثال أبو الهول

المحاضرة الثانية: مصادر دراسة الحضارة الفرعونية

يعتمد المؤرخ في دراسته للحضارة الفرعونية على العديد من المصادر التي تتصدرها المصادر الأثرية، كذلك مصادر من حضارات الشرق الأدنى القديم المعاصرة للحضارة المصرية القديمة، ماجاء في الكتب المقدسة وكتابات المؤرخين اليونان والرومان.

1-المصادر المادية أو الأثرية:

تعد الآثار المصرية القديمة بما تشمله من آثار مادية ثابتة كالمعابد، المقابر، بقايا المدن والمنازل، وآثار منقولة تتضمن الأدوات المنزلية، الأسلحة، أدوات التجميل والزينة، وآثار أخرى ذات طابع فكري أدبي، ديني وسياسي، المادة العلمية الأساسية والمصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه الباحث في دراسته لأوجه الحضارة المصرية القديمة في مظاهرها المتعددة، ويتميز هذا المصدر بمعاصرته للحياة في ذلك العصر وتطورها منذ عصور ما قبل الكتابة والتدوين حتى نهاية العصر القديم في مصر، وقد ساعد في وفرة الآثار المصرية عاملان رئيسيان تمثل الأول في العقيدة الدينية التي آمن بها المصري القديم وهي عقيدة البعث والخلود، والثاني تمثل في الظروف البيئية التي ساعدت على حفظ الآثار منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.[1]

أ-قوائم الملوك: منذ بداية اتقان المصريين للكتابة، بدأ الكتبة في تسجيل أخبار الملوك والأحداث على أسطح أكبر حجما مثل جدران المعابد، الأهرامات، المقابر والتوابيت، التماثيل، اللوحات الحجرية وأوراق البردي، وكان التزمين يبدأ منذ بداية حكم كل ملك حتى وفاته، وتسرد الأحداث المعاصرة له على حسب سنين حكمه منفصلا عن فترة حكم الملوك الذين سبقوه، فنشأت قوائم الملوك وفقا لذلك، وأهمها:

---

[1] أحمد أمين سليم ، سوزان عباس عبد اللطيف، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، في حضارة مصر القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص 19.

- **حجر بالرمو:** هو عبارة عن كتلة من حجر الديوريت الأســـود، دُونت عليه أســـماء وأخبار الملوك منذ أقدم العصـــور إلى غاية الملك "نفر إير كارع" ثالث ملوك الأســرة الخامســـــة، ويعتبر هذا الحجر أول محاولة لجمع أخبار الملوك وترتيبها، وقد تميز بالوضـــوح والدقة وســـجل كذلك هذا الحجر فيضـــان النيل، تعداد الماشـــية والأعياد الهامة، وسمي بها الاسم لأن الجزء الأكبر منه محفوظ في متحف مدينة "بالرمو" في إيطاليا[1].

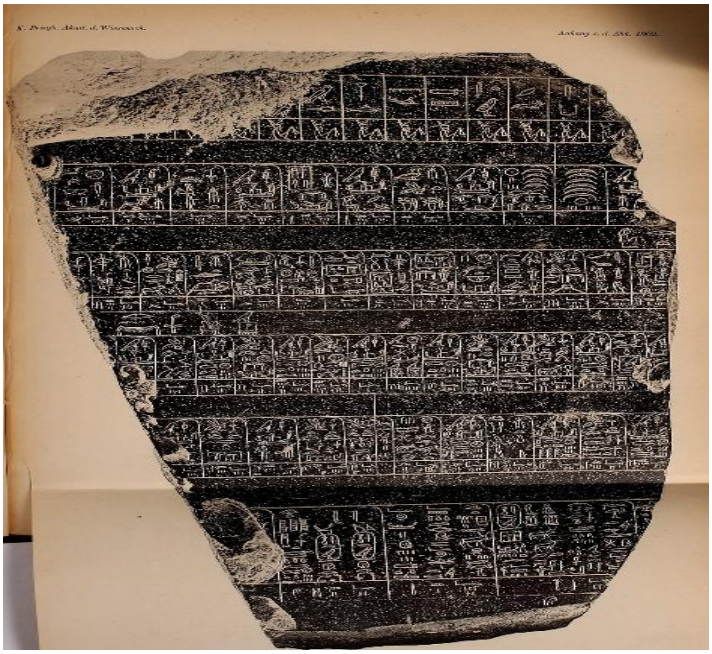

حجر بالرمو

- **قائمة الكرنك:** وجدت في معبد الملك تحوتمس الثالث بالكرنك (سادس ملوك الأسرة الثامنة عشر)، وهي الآن في متحف اللوفر بفرنسا، تحطمت بدايتها وأول اسم يظهر فيها هو للملك " سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة حتى عصر الملك تحوتمس الثالث[2].

[1] أحمد فخري، مصر القديمة، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص 50-

[2] المرجع نفسه، ص 54.

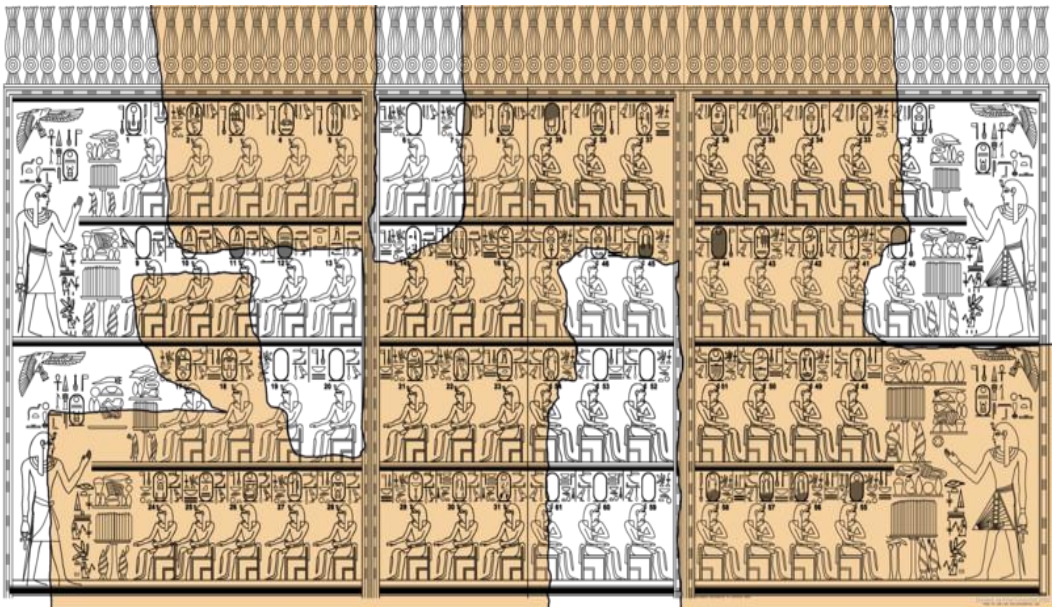

قائمة الكرنك

- **قائمة أبيدوس:** مسجلة داخل معبد "سيتي الأول" ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشر في مدينة أبيدوس، ونجد في مقدمة الملوك المسجلة أسماؤهم الملك "نعرمر"، وقد أغفلت هذه القائمة ذكر ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة وعصر الانتقال الثاني، وكذلك عصر الملكة حتشبسوت والملك أخناتون وأفراد أسرته[1]، ويعود ذلك لأسباب سياسية ودينية بالدرجة الأولى.

قائمة أبيدوس

[1] عبد العزيز صالح ، المرجع السابق، ص 235.

- **قائمة سقارة:** سُجلت في عهد الملك رعمسيس الثاني ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشر، ووُجدت في مقبرة أحد كبار الكهنة المقربين من الملك، سُجلت عليها أسماء 58 ملكا بداية من سادس ملوك الأسرة الأولى حتى عهد رعمسيس الثاني، ولا تحتوي القائمة على ملوك من عصر الانتقال الأول والثاني، وكذلك الملكة حتشبسوت والملك أخناتون[1].

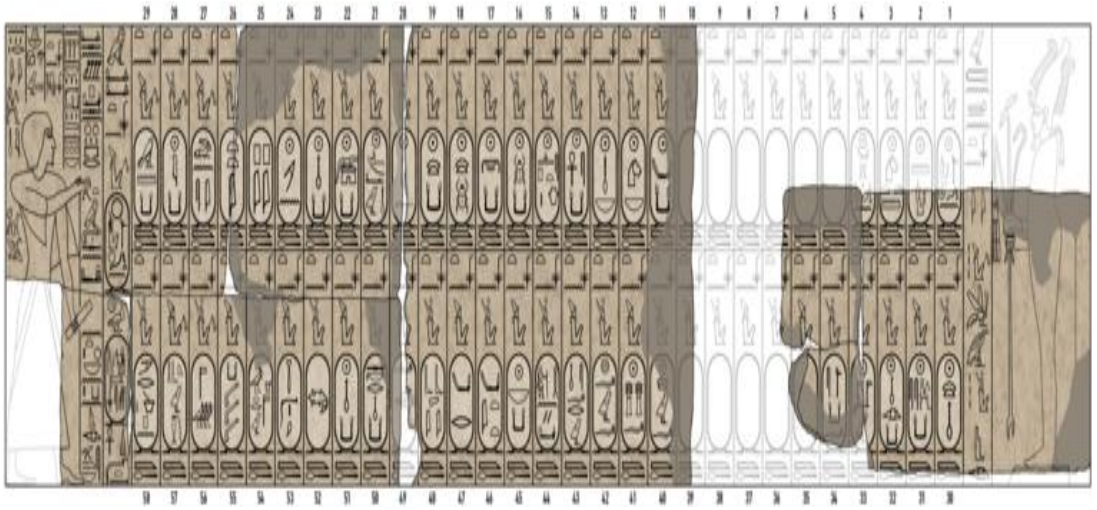

قائمة سقارة

- **بردية تورين:** كتبت على ورق البردي وسجلت الملوك بكامل ألقابهم وفترات حكمهم بالسنوات والشهور والأيام منذ أقدم العصور حتى عهد رعمسيس الثاني، مايُميز هذه البردية أنها ذكرت بعض أسماء الملوك الذين لم يُذكروا في القوائم الأخرى، وأن من كتبها قد اعتمد على التبويب التاريخي حين قسم الملوك إلى مجموعات، وتبدأ القائمة بذكر ما سُمي ب"الملوك الآلهة" و "أنصاف الآلهة" وملوك الأسرة الأولى بداية بالملك نعرمر إلى غاية رعمسيس الثاني[2].

[1] محمد شفيق غربال وآخرون، تالريخ الحضارة المصرية –العصر الفرعوني–، ج 01، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د. ت، ص 83– 84.

[2] أحمد فخري، المرجع السابق، ص 52.

بردية تورين

2- **تاريخ مانيتون:** هو مؤرخ مصـــري قديم من مدينة ســمنود، عاصـــر الملك بطليموس الثاني، الذي كلفه بكتابة تاريخ مصـــر وملوكها، كان ملما بالكتابة المصـــرية القديمة واللغة اليونانية، سـجل مؤلفه في ثلاث مجلدات لم يصـلنا أصـلها وإنما ما نقل عنه في كتابات بعض المؤرخين الذين أخذوا عنه، مثل " يوســـيفوس فلافيوس" و "يوليوس الافريقي".

ماتميز به مانيتون هو أنه قام بتقســـيم التاريخ الفرعوني إلى 30 أســـرة معتمدا على الأسس التالية: – انتقال العاصمة يشكل بداية أسرة جديدة.

- ظهور مظهر حضاري جديد يدل على بداية أسرة جديدة.
- تولي الحكم شخص من خارج العائلة الملكية لانعدام وريث ذكر.
- تولي الحكم من طرف شخص بعد فترة اضطرابات[1].

ويتفق جمع علماء المصـــريات بأن تاريخ مانيتون هو الدعامة الأولى لتقســـيم تاريخ مصـر إلى أسـرات، حيث قدم تسـلسـلا لأسـماء الملوك منذ توحيد مصـر إلى نهاية عصـر الأسرات، مرتبة مع تقدير مدة حكم كل ملك، بداية بالملك نعرمر مؤسس الأسرة الأولى إلى

[1] جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط01، 1992، ص 227- 228.

آخر ملوك الأسـرة الثلاثين "نختنبو الثاني"343 ق.م، وأضـيفت في ما بعد الأسـرة 31 التي تعرف بالأسرة الفارسية التي دخل في عهدها الاسكندر المقدوني 332 ق.م[1].

3- **الكتب المقدسة:** ونقصد بها ما جاء في الكتب المقدسة من روايات وقصص خاصة ما جاء في القرآن الكريم من معلومات هامة حول الحضـارة المصـرية، مثل قصـص عن سيدنا يوسف وسيدنا موسى عليهما السلام، حيث تظهر فيها مظاهر عن الحياة في مصر القديمة، وكذلك كتابات العهد القديم مثل سـفر الملوك الأول والثاني، أسـفار أرميا ودانيال (حزقيال) وخاصـة في سـفر الخروج، وقد احتوت على معلومات عن مصـر وعلاقاتها مع فلسـطين وخروج بني إسرائيل من مصر، تميزت بالتكرار والتناقض والتعصب العرقي[2].

4- **مصـادر الحضـارات المعاصـرة:** ويقصـد بها ماورد في كتابات الحضـارات المعاصـرة للحضـارة المصـرية القديمة والتي كان لها تواصـل حضـاري معها، مثل الحضـارات البابلية، الآشورية، الحيثية، الفينيقية واليونانية وغيرها.

5-المصادر الأدبية: أو كتابات المؤرخين الكلاسيكيين

وفد المؤرخون والرحالة من آسـيا الصـغرى وشـبه الجزيرة اليونانية وجزر بحر إيجة إلى مصـر منذ حوالي القرن 06 قبل الميلاد، وقد سبقهم في ذلك الأيونيين والإغريق الذين عملوا كجنود تحت حكم الأسـرة السـادسـة والعشـرون[3]، وقد كتب هؤلاء عن مصـر كتبا كاملة أو فصـــولا من كتب، غير أن على الباحثين في تاريخ مصـــر الحذر عند الاقتباس من هذه المصادر، وذلك لأن كثيرا من هؤلاء قد أساؤوا فهم ما رأوه أو ما سمعوا عنه، فذهبوا بخيالهم إلى محاولة التفسـير والتعليل هذا أولا، وثانيا فإن معظمهم زاروا مصـر في فترة ضـعفها أي

---

[1] أحمد فخري، المرجع السابق، ص53.

[2] محمد علي سعد الله، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم – في تاريخ مصر–، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001، ص 28.

[3] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 239.

في العصـــر المتأخر، وبالتالي فإنهم أطلقوا الوضـــع الخاص على العام، أما ثالثا فإن أغلب هؤلاء الكتاب قد أقاموا في مدن الدالتا، وبالتالي لم يتبينوا أوجه الحياة ونمط المعيشـــة في الجنوب في صـعيد مصـر، في حين يكمن السـبب الرابع في أنهم اعتمدوا في كتاباتهم على الروايات الشـفوية والأخبار من صـغار الكهنة، التجار والمغامرين، إضـافة إلى تعصـبهم للحضـــارة اليونانية[1]، كل تلك الأســباب مجتمعة تجعل الباحث يتريث في الاقتباس من هذه المصـادر التي احتوت على الكثير من المغالطات التي يجب إخضـاعها للتحليل والتمحيص وتحري الحقيقة من مصـــادر أخرى ومقارنتها بما جاء فيها، ورغم ذلك يجب ألا ننكر أنها احتوت على معلومات كثيرة عن البيئة الجغرافية لمصـــر، طبيعة السـكان والمجتمع وبعض العادات والتقاليد، ومن أبرز هؤلاء المؤرخين:

أ- **هيكاته المليتي (هيكاتوس):** مؤرخ يوناني من بلدة "مليتوس" بآســيا الصـــغرى، زار مصر في القرن السادس ق.م حوالي 520 ق.م جمع ما شاهده وسمعه في كتابه "رحلة حول البحر"، والذي تضـمن خريطة لرحلاته ولكن فُقدت النسـخة الأصـلية ولم يبق سـوى ما نقله المؤرخون من بعده عنه. تحدث عن معلومات وفيرة عن مصر استقاها من الكتبة المصريين عن ســـكان البلاد، تاريخهم، نهر النيل والدالتا والزراعة وغيرها، اتســـمت كتاباته بالطابع الجغرافي[2].

ب- **هيرودوت:** مؤرخ ورحالة يوناني ولد عام 484 ق.م في مدينة "هاليكارناسوس" وتوفي في 420 ق.م، زار مصـــر في حوالي 448 ق.م، كتب عن مصـــر في الجزء الثاني من كتابه "التواريخ"، الذي يُعد من أهم المصـادر الأدبية لتاريخ مصـر حيث كتب عن جغرافيتها، أهم مدنها، أهم أعمال ملوكها وملكاتها، العمارة والمعابد، الأعياد والمعتقدات الدينية، نهر النيل وغيرها، غير أنه على الباحث التعامل مع ما جاء في بعض الفقرات بحذر -كما ذُكر

[1] أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر-العراق-ايران، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1989، ص 12.

[2] رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج 01، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2001، ص 246.

سـالفا–، وذلك لأن هيرودوت كان لا يُدون ما شـاهده وعايشـه فقط ولكن كل ما سـمعه من التجار والرحال والمغامرين وغيرهم، لذلك يتوجب على الباحث التدقيق والتمحيص في كتابات هيرودوت[1].

ت– هيكاته الأبدري: مؤرخ يوناني من مدينة "أبديرا" في اليونان، زار مصـــر في أوائل الحكم البطلمي حوالي 300 ق.م، كان صـــديقا لبطليموس الأول، كتب عن مصـــر مؤلفا مفقودا بعنوان " دراسـات مصـرية"، بقي منه ما تناقله المؤرخون من بعده، تحدث عن العقائد والأساطير الدينية[2].

ث– ديودور الصقلي: مؤرخ يوناني ولد في "أجيرون" في صـقلية حوالي 90 ق.م وتوفي حوالي 30 ق.م في عصـر البطالمة، ألف كتابا بعنوان " المكتبة التاريخية" من 40 جزء، لم يصـل إلينا سـوى الأجزاء من 1 إلى 5 ومن 11 إلى 20 أما الباقي فلم يصـل إلينا سـوى إشـــارات في كتب من أخذ عنه، وقد اســـتعرض في الجزء الأول معلومات عن مصـــر: الأساطير الدينية، الملوك، العادات ومظاهر من الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها، وكانت كتاباته أكثر تفصـــيلا وتفســـيرا لعقائد المصـــريين وتفكيرهم الديني[3]، والملاحظ أن كتابات ديودور الصقلي جاءت أكثر واقعية وعقلانية، ومن أشهر ما كتب عن مصر: " **مصر حمتها الطبيعة من جميع جهاتها**"[4].

ج– سترابون: مؤرخ يوناني ولد في مدينة "أماسيا" حوالي 63 أو 64 ق.م، كان من عائلة ثرية ما مكنه من القيام برحلات كثيرة، زار مصـــر في حوالي 25 ق.م أثناء فترة الوجود

---

[1] للمزيد عن تاريخ هيرودوت وكتاباته عن مصـــر، انظر: تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، منشـــورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.

[2] نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية –العصر الفرعوني–، مج 01، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص 81.

[3] للمزيد عن ديودور الصقلي وكتاباته، انظر: وهيب كامل، ديودور الصقلي في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط 01، 1949.

[4] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، 243.

الروماني ومكث في الإسكندرية حوالي الخمس سنوات، وتعلم فيها الكثير من العلوم[1] وتتبع مجرى النيل حتى إثيوبيا، فكتب مؤلفه في التاريخ والرحلات سماه " الجغرافيا" في 17 جزء، خصص في الجزء 16 قسما لمصر: المدن، العادات، النيل ومنابعه، الأراضي الزراعية والحيوانات[2].

ح- **بلين الكبير:** كاتب ورحالة وجغرافي روماني عاش ما بين 23 و 79 ميلادي، زار مصر وكتب في مؤلفه "التاريخ الطبيعي" – من 37 جزء- عن علوم الفلك، التشريح، الجغرافيا، الطب، المعادن، النبات والحيوان عن هندسة الأهرامات، المعابد والمسلات وغيرها[3].

خ- **بلوتارخ أو بلوتارك الخيروني:** ولد في بلدة خيرونيا في اليونان عاش ما بين 5 و 125 ميلادي، زار الإسكندرية وكتب كتابه "التراجم" عن بعض القادة والساسة اليونان والرومان ، وكتاب "الأخلاقيات" وهي دراسة لا تقتصر على فلسفة الأخلاق فحسب بل تشمل كذلك دراسات عن الديانة، الطبيعة، السياسة والأدب، وجمع فيه فصول أسطورة "إيزة وأوزير".[4]

د- **يوسيفوس فلافيوس:** كاتب ومؤرخ يهودي ولد في القدس، عاش مابين 37 و 95 ميلادية في مدينة الجليل بفلسطين، ألف كتاب "آثار اليهود" في 20 جزء نقل فيه مقتطفات من كتابات مانيتون، وربط في كتابه "الرد على أبيون" بين الهكسوس وأصلهم العبري[5].

---

[1] أحمد أمين سليم – سوزان عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 33.

[2] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 243.

[3] محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 26.

[4] المرجع نفسه، ص 26.

[5] رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج 01، دار نهضة الشرق، 2001، ص 262،

المحاضرة الثانية: النطاق الجغرافي للحضارة الفرعونية

ترتبط نشأة الحضارة في مصر ارتباطا وثيقا بعوامل البيئة الجغرافية، ذلك لأن الحضارة ماهي إلا نتيجة مباشـرة لتفاعل جهود الانسـان ومؤثرات البيئة، تفاعلا تتطور مظاهره عبر العصور ليتمكن الانسان خلالها من الاستفادة من محيطه والطبيعة التي تواجد فيها لتسخير كل الإمكانيات لصالحه.

1-موقع مصـر الجغرافي: تقع مصـر في الجزء الشـمالي الشـرقي للقارة الافريقية، بينما يقع جزء منها وهو شـبه جزيرة سـيناء في الطرف الغربي من آسـيا، وبذلك تكون الدولة الوحيدة التي تشغل مساحتها جزء آسيوي وجزء إفريقي، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، شرقا البحر الأحمر وترتبط بفلسطين في الشمال الشرقي عن طريق شبه جزيرة سيناء، في حين تحدها ليبيا من الغرب وبلاد النوبة من الجنوب[1].

2-خصائص الموقع الجغرافي:

أ- المناخ:

تنقسم مصـر من حيث الأقاليم المناخية إلى أربعة مناطق المناخية سُميت على حسب الإطار الجغرافي الذي تنتمي إليه وهي كالآتي:

- مناخ إقليم البحر الأبيض المتوسـط: ويغطي المناطق السـاحلية الشـمالية المطلة على البحر وهو أكثر الأقاليم اعتدالا وتساقطا.
- المناخ شـبه الصـحراوي: أو القاري ويسـود المناطق الداخلية والمناطق المحاذية لسواحل البحر الأحمر وضفاف النيل.
- مناخ المرتفعات: ويسـود السـلاسـل الجبلية المحاذية للبحر الأحمر وجبال جنوب سيناء، ويتميز هذا الإقليم بأمطاره الموسمية التي تؤدي إلى سيول تدميرية.

[1] محمد فريد فتحي، في جغرافية مصر، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 1.

- المناخ الصحراوي: والذي يسود مناطق شاسعة في مصر خاصة الصحراء الشرقية والغربية، ويمتاز بالحرارة الشديدة وندرة الأمطار[1].

2-التضاريس:

أ-نهر النيل:

وصف هيرودوت طمى تربة الدلتا التي رسبها نهر النيل ب"هبة النيل"، وهي العبارة التي كثيرا ما اقتبست كقول مأثور لوصف أهمية النيل لبعث الحياة في مصر وقيام الحضارة فيها، فمياه النيل تعتبر مصدرا للحياة وبدونها تعتبر مصر صحراء جرداء، ينبع نهر النيل من الجنوب ويصب في الشمال في البحر الأبيض المتوسط، وقد كان مجراه في أول الأمر أكثر اتساعا عما هو عليه الآن، ولا شك أن الفيضان هو أبرز وأهم ظاهرة في مائية للنهر فعلى هذا الفيضان وعلى موعده تعتمد حياة مصر وخصبها[2].

خريطة مصر القديمة

---

[1] عيسى علي إبراهيم، جغرافية مصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1998، ص 56- 57. وانظر: محمد فريد فتحي، المرجع السابق، ص 141.

[2] أنطوان زكري، النيل في عهد الفراعنة والعرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999، ص 33.

ب-الدالتا: وهي الجزء الشمالي من أرض مصر تشكلت بفعل تفرع نهر النيل، وهي عبارة عن رواسب فيضية حملها النهر من مصبه حتى ترسبت في هذه المنطقة، وبمرور الزمن تحولت إلى سهل خصب تخترقه فروع النيل السبع التي لم يبق منها سوى فرعي "دمياط" و"رشيد"، هذا وتقع نقطة تفرع النهر شمال غرب القاهرة حاليا، وتمتد الدالتا حتى سواحل البحر المتوسط، وتغيرت الدالتا عبر العصور بفعل التغيرات التي طرأت على مجرى نهر النيل، وتسمى في العصور القديمة بمصر السفلى، وتتربع على أراضي زراعية شاسعة وكونها تطل على البحر المتوسط فإنها عُرفت بالوجه البحري.[1]

ت-الصحراء: وتنقسم إلى الصحراء الشرقية والصحراء الغربية، فالأولى تقع على طول نهر النيل إلى سواحل البحر الأحمر، وفيها إضافة إلى الصحراء سهل ساحلي يتميز بالاستواء مع بعض التلال ويمتد من خط الساحل إلى مرتفعات البحر الأحمر، هذه الأخيرة عبارة عن سلسلة جبلية تمتد حتى الجنوب الشرقي إلى الحبشة وتتخللها بعض الأودية التي تصب في البحر الأحمر، أما الصحراء الغربية فهي أكثر المناطق اتساعا 68% من إجمالي مساحة مصر، وتمتد إلى الحدود مع بلاد النوبة (السودان حاليا)، وتتشكل من عدة مظاهر صحراوية الواحات، وهضاب صخرية وتمتاز بشدة حرارتها وجفافها ما عدا بعض المناطق[2].

ث- شبه جزيرة سيناء: تقع في أقصى شرق مصر، وهي عبارة عن هضبة مثلثة الشكل قاعدته على البحر المتوسط شمالا، وتنقسم سيناء من حيث التضاريس إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: القسم الشمالي المحصور بين البحر المتوسط شمالا إلى هضبة التيه جنوبا، وهو عبارة عن أرض سهلية منبسطة تكثر فيها موارد المياه، والقسم الثاني هو منطقة

---

[1] محمد فريد فتحي، المرجع السابق، ص 97-89.

[2] عبد الفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم – الجغرافيا التاريخية-، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت، ص260. وانظر: عيسى علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 37.

الهضـاب الوسـطى أو هضـبة التيه، والقسـم الجنوبي يشـرف على البحر الأحمر وهو منطقة وعرة شديدة الصلابة، تتألف من جبال صخرية مرتفعة.[1]

3-أهمية الموقع الجغرافي:

- تقع مصـــر عند مجمع ثلاث قارات وعند مفترق بحرين داخليين يمتد أحدهما الى المحيط الهندي وهو البحر الأحمر، ويمتد الآخر الى المحيط الأطلسـي وهو البحر الأبيض المتوسط.
- تتمتع مصـر بموقع اسـتراتيجي حقق لها الكثير من المزايا والفوائد، فموقعها جعلها إقليما يصعب غزوه بسهولة، فمن جهتي الشرق والغرب تحيطها الصحاري المرتفعة التي تشكل موانع حاجزة تحميها من الأخطار الخارجية، ويحدها من الشمال البحر المتوسط الذي يصعب عبوره إلا بواسطة السفن الكبيرة، كما توجد إلـى جهة الشمال الشرقي أيضاً صحراء سيناء التي تعتبر ممرا صعبا يصل بلاد الشام بمصر.
- ومن مميزات جغرافية مصـــر أيضـــا هو أنها إقليم يكاد أن يكون إقليما مقفلا من الجنوب، فالصحراء تحيط بالوادي الخصيب المحاذي لنهر النيل فشكلت حماية له، أما الهضاب الصخرية فكانت حواجز مانعة تقلل من الهجومات الخارجية.
- إن النيل بنظامه الخاص في المجرى والفيضـان، قد فرض على المجتمع المصـري القديم الوحدة والنظام، فكان له الفضـل في ظهور التجمعات السكنية الكبرى، وكان العصـب الرئيسـي للمواصـلات، فساعد على ربط أنحاء البلاد، وأنشأ بين أفراد هذا المجتمع نوعا من التعاون الجماعي لتكثيف الجهود لمواجهة أخطار الفيضـــان من جهة والانتفاع من خيراته من جهة أخرى.
- أدرك المصريون منذ بداية الحضارة الكثير من العلوم والفنون، ويرجع ذلك لمعرفتهم لمقاييس النيل وفترة فيضانه.

[1] محمد فريد فتحي، المرجع السابق، ص 86.

المحاضرة الرابعة: عصور الحضارة الفرعونية

مرت الحضـــارة الفرعونية بمراحل تاريخية بارزة، حيث قســمها مانيتون إلى حوالي 30 أســـرة، جمعت بين ملوك الأســـرة الواحدة رابطة الدم، ولكن تعســـر على الباحثين الإلمام بمميزات عصـر كل أسـرة دون فصـلها عما سـبقها أو ما تلاها من أسـر، لذلك قاموا بتقسـيم تاريخ هذه الحضـارة إلى عصـور كبرى يجمع كل عصـر مجموعة من الأسرات التي تشـابهت فيما بينها من حيث المظاهر الحضارية.

العصور التاريخية للحضارة الفرعونية:

- العصر العتيق: 3200 ق.م – 2780 ق.م.
- عصر الدولة القديمة: 2780 ق.م – 2280 ق.م.
- عصر الانتقال الأول: 2280 ق. م – 2052 ق.م.
- عصر الدولة الوسطى: 2134 ق. م – 1778 ق. م.
- عصر الانتقال الثاني: 1778 ق. م – 1570 ق.م.
- عصر الدولة الحديثة: 1570 ق.م – 1080 ق. م.
- العصر المتأخر: 1085 ق.م – 332 ق. م.

1-العصر العتيق: 3200 ق.م – 2780 ق.م (يشمل الأسرات 1 – 2)

- في 3200 ق.م تم توحيد مصر من طرف الملك نعرمر أو مينا.
- تزامن ذلك مع ظهور أسلوب جديد للتعبير وهو التدوين أو اختراع الكتابة.
- تم خلال هذا العصـر وضـع الأسـس الأولى للحضـارة المصـرية القديمة: نظام الحكم والسياسة، الاقتصاد، الفن والعمارة، الأسس الدينية وغيرها.
- يسـمى بالعصـر العتيق أو العصـر الثيني نسـبة إلى أول عاصـمة وهي "ثنى"، التي بقيت عاصـمة طوال عصـري الأسـرتان 1 و2، كان الملوك يقيمون أحيانا في المدينة

الجديدة التي أنشــأها نعرمر في الشــمال عند مفترق الدالتا وهي القلعة البيضــاء أو الجدار الأبيض "منف" التي ستصبح العاصمة التالية.

- من أبرز ملوك هذا العصر: نعرمر – عحا – جر – حتب سخموي – خع سخموي.

2-عصر الدولة القديمة: 2780 ق.م – 2280 ق.م. (يشمل الأسرات 3 – 6)

- من أزهى العصـــور حيث تطورت الحياة الدينية مما كان له الأثر على تقدم هذه الحضارة في جميع الميادين، لاسيما العمارة، الفن، العلوم، السياسة وغيرها.
- يسمى هذا العصر بعصر "بناة الأهرامات"، حيث ظهرت مقابر الملوك على شكل أهرامات ضخمة.
- صــاحب ذلك برزو "الملكية المؤلهة" ورغبة الملوك في الخلود، فســعوا إلى ترســيخ عقيدة "حياة ما بعد الموت".
- تقدم التحنيط واكتمل خلال هذه الفترة تزامنا مع تطور عقيدة البعث والخلود، فازدهرت معه العديد من العلوم.
- بروز مدينة "منف" كعاصمة رسمية للبلاد.
- من أهم ملوك هذه الأســرة: زوســر الأول – ســنفرو – خوفو – خفرع – منقرع – أوسركاف – نيت إقر.

3-عصر الانتقال الأول: 2280 ق. م – 2052 ق.م. (يشمل الأسرات 7 – 10)

- دخلت مصر في أواخر الأسرة السادسة في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار بسبب الأزمات الاقتصادية التي شهدتها البلاد.
- كان من أسـباب الأزمة هو سـياسـة الملوك في اسـتثمار الجهود والاسـتحواذ على ممتلكات الخزينة والبلاد لتحقيق مصالحهم الشخصية المتمثلة في تحقيق الخلود وبناء العمارة الجنائزية الضخمة وتسخير كل الإمكانيات لبلوغ تلك الغاية.

- ظهور سخط شعبي كبير سُمي بالثورة الاجتماعية، خاصة مع ضعف السلطة الملكية وعاظم نفوذ حكام الأقاليم الذين أنهكوا كاهل الشعب بالجزية والضرائب.
- ظهور مطالبات بحق الشعب في الخلود والحياة ما بعد الموت.

4- عصر الدولة الوسطى: 2134 ق. م – 1778 ق. م. (يشمل الأسرات 11 – 12)

- عودة الأمن والاستقرار وانتقال العاصمة إلى مدينة "طيبة".
- ازدهار العمارة الدينية، وبروز مدينة "طيبة" كعاصمة جديدة للبلاد.
- تطور السياسة الخارجية خاصة في عصر الأسرة 12.
- عودة السلطة المركزية المتمثلة في حكم الملك.
- تطور العلوم والأدب.

5-عصر الانتقال الثاني: 1778 ق. م – 1570 ق.م. (يشمل الأسرات 13 – 17)

- دخول مصـــر في فترة تاريخية جديدة وهي فترة الاحتلال الأجنبي، حيث تعرضـــت لهجمات أقوام قدمت من الشرق من منطقة الشام وهم الهكسوس الذين نصبوا أنفسهم ملوكا على مصر.
- تراجع مصر في كل الميادين بسبب سياسة التخريب التي تعرضت لها خاصة تخريب وهدم المعابد.
- ظهور أمراء من طيبة عزموا على طرد الهكسـوس من مصـر، وعلى رأسـهم الملوك: سقنن رع، كامس وأحمس الأول، أسس من سبقوهم الأسرة 17.
- يروز أسـماء لملكات شـاركن في تحرير مصـر: تيتي شـيري، إعح حوتب وأحمس نفرتاري.

6-عصر الدولة الحديثة: 1570 ق.م – 1080 ق. م. (يشمل الأسرات 18 – 20)

- يسمى هذا العصر ب "عصر الإمبراطورية".

- أسسها الملك " أحمس الأول" آخر ملوك الأسرة 17 وأول ملوك الأسرة 18.
- شهدت مصر خلال هذه الفترة اسقرارا سياسيا داخليا وخارجيا إلا في بعض الفترات.
- اتسعت رقعة الإمبراطورية بعد التوسعات التي قام بها عدد من ملوكها.
- ازدهر الاقتصاد وخاصة التجارة الداخلية والخارجية.
- تطور الصناعات وأساليب الزراعة.
- تطور العقائد الدينية خاصة عقيدة البعث والخلود.
- ازدهار العمارة لاسيما الدينية منها (المعابد الضخمة والمسلات والمقاصير)
- حدوث الانقلاب الديني في عهد الملك "أخناتون" وما صـــاحبه من تغييرات جذرية سياسيا ودينيا.
- عودة مدينة طيبة لتكون عاصمة للبلاد.
- أهم ملوك هذا العصــر: أحمس الأول، حتشــبســوت، تحتمس الثالث، أخناتون، توت عنخ آمون، رعمسيس الثاني وغيرهم.

7- العصر المتأخر: 1085 ق.م – 332 ق. م. (يشمل الأسرات 21 – 30)

- شهدت مصر في هذا العصر اضطرابات سياسة وتراجع للسلطة الملكية.
- تعاظم نفوذ الكهنة خاصة كهنة آمون.
- تعرضت مصر لتدخلات وهجمات خارجية: الآشوريين والفرس ووصول حكام ليبيين إلى الحكم.
- رغم محاولات عدد من الملوك فرض الســـلطة المركزية والنهوض من جديد مثل "بسماتيك الأول"، إلا أن ذلك كله كان يتضاءل بمجرد وفاة الملك وانتهاء فترة حكمه.
- بروز الإغريق على الساحة السياسة – رغم أن وجودهم في مصر يعود إلى أقدم من ذلك بكثير– مما مهد لدخول الاسكندر الأكبر لمصر في 332 ق.م.

المحاضرة الخامسة: نظام الحكم في مصر الفرعونية

1-نشأة الملكية في مصر الفرعونية:

كانت مصر قبل الوحدة في مقسمة إلى اثني وأربعين إقليما وكان لكل إقليم حاكم، وفي مرحلة ما من التاريخ ولأسباب مازلنا نجهلها، تكتلت تلك الأقاليم في مملكتين منفصلتين الوجه البحري والوجه القبلي، تزعم كل مملكة حاكم مدعوم بمجموعة من الموظفين والمؤسسات الدينية والدنيوية التي تعينه على تسيير شؤون الحكم، وكان لكل مملكة تاجها ومعبوداتها وإلهها الرئيسي:

مصر العليا: أو الوجه القبلي (الصعيد) التاج الأبيض ورمزها الأفعى.

مصر السفلى:أو الوجه البحري (الدالتا) التاج الأحمر ورمزها أنثى العقاب أو النسر.

وفي حوالي 3200 ق.م تمكن ملك مصر العليا من الزحف على مصر السفلى وضمها، وبالتالي توحدت مصر تحت حكم سلطة مركزية موحدة، وأصبح ملك الصعيد وهو "نعرمر" أو "مينا" أول ملك لمصر الموحدة، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من تاريخ مصر القديم هي عصر الأسرات وبداية الحضارة المصرية القديمة.

- **مؤشرات الوحدة:**

نقصد بمؤشرات الوحدة المخلفات الأثرية الشاهدة على هذه المرحلة الهامة من تاريخ مصر، والتي تدل على الوحدة السياسية وبداية الحكم المركزي، مع العلم بأن كل ذلك قد تزامن مع ظهور الكتابة وبداية التدوين. وأهم تلك المؤشرات:

- توحيد التاجين الأحمر والأبيض وظهو ر التاج المزدوج.

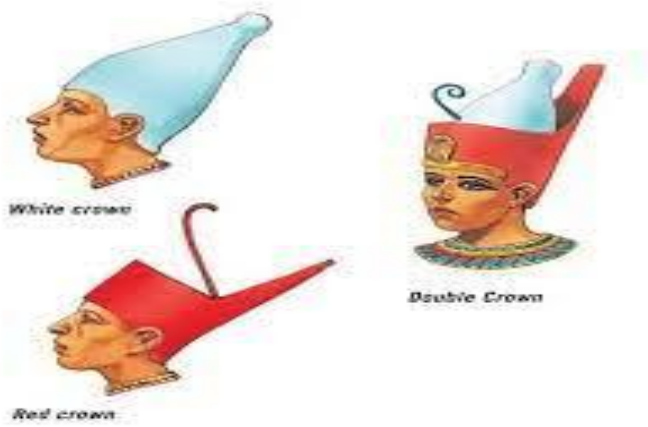

- توحيد الآلهة والمعبودات.
- لوحة الملك نعرمر التي يظهر فيها وهو يهزم أعداءه مرتديا التاجين، وتظهر في اللوحة الآلهة الحامية للملكتين.

- الألقاب الملكية: بعد توحيد البلاد وجمع السلطة في يد الملك صار لهذا الأخير مجموعة من الألقاب التي توارثها الملوك من بعده وهي:
- لقب الحوري: نسبة إلى الإله حور أو حورس.
- لقب النبتي: نسبة للآلهتان الحاميتان للصعيد والدالتا (وادجيت ونخبت)
- لقب النيسوتبيتي : أو النيسوت بيتي أي سيد الأرضين الشمال والجنوب.
- لقب سا رع أي ابن الإله رع سيد الآلهة.
- لقب الملك نفسه: وهو اسمه الشخصي عند ولادته.

2-علاقة الدين بنشأة الملكية:

بعد توحيد مصـر وبداية عصـر الأسـرات وُضـعت الأسـس الأولى لهذه الحضـارة، السياسية، الاقتصادية، الثقافية والفنية وغيرها، وكانت الدعائم الأولى لوضع النظام الملكي قائمة على أسس دينية بحتة، أي ظهور عقيدة تأليه الملك، حيث اعتقد المصـريون القدماء بأن هذا الأخير هو ليس ممثل الآلهة على الأرض فحسب وإنما هو من صلبهم، أي أنه ابن الآلهة، وهذه العقيدة بُنيت استناد إلى الأساطير الدينية والتي جاء في محتواها بأن الآلهة قد حكمت الأرض قبل أن تُعرّج إلى السماء تاركة حكم الأرض للبشر، وآخر هذه الآلهة هو الإله حورس الذي أورث الحكم للملك نعرمر، وتقول بعض الأساطير بأنه توحد في معه، ورغم أن هذه الأساطير ماهي إلا قصص من تأليف الكهنة، إلا أنها قد تحولت إلى عقائد كان لها الأثر الواضح على المصريين القدماء وأسلوب حياتهم وكذا منجزاتهم المختلفة.

3-مهام الملك:

- جمع الملك بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية.
- هو ممثل الآلهة على الأرض وحاكم الأرضين.
- يقع على عاتقه نشر العدالة وتولي الإدارة، واختيار الموظفين، الإشراف على بناء المعابد وإقامة الطقوس والصلوات للآلهة والاشراف على الأعياد الدينية.
- الاشراف على المعاملات الاقتصادية، السياسية والإدارية.
- الحفاظ على أمن مصر وحمايتها من أي خطر خارجي.
- تأمين القوافل التجارية وبعثات التعدين في الصحراء.
- تقبل الجزية وعقد المعاهدات....

- هذه المهام وغيرها كان معظمها شكلي فقط، ذلك لأن الملك كان يستعين بمجموعة من الموظفين الكبار، حكام الأقاليم، المسئولين ورجال الدين كل في تخصصه، وكل يرفع تقاريره لمن هو أعلى منه مرتبة وظيفية حتى تصل إلى الملك كل التقارير

اليومية، الأسبوعية، الشهرية والسنوية التي كان يبني عليها الملك قراراته بحكم السلطة الملطقة التي ورثها عن الآلهة.

- هكذا ظهر في مصر جهاز إداري محكم، قائم على الانضباط والولاية التامة للملك.
- من أبرز الموظفين في الدولة: الوزير، الكاهن الأكبر، مسؤول الخزينة، قائد 6الجيش وغيرهم.
- كانت الملكة تشارك زوجها في النيابة عنه للقيام بعدد من الأعباء مثل: تقديم القرابين للآلهة الرسمية للبلاد، الاحتفالات الدينية والدنيوية، الاشراف على الكهنوت النسوي والكثير من المهام الأخرى.

4-نظام وراثة أو اعتلاء العرش في مصر الفرعونية:

كان نظام الحكم وراثي ينتقل من وريث لآخر، حيث يرى عدد من الباحثين بأنه لا يرتقي إلى العرش إلا من كانت والدته ملكة أي تجري في عروقه الدماء الملكية، وفي حال غياب الوريث الذكر في الأسرة الحاكمة ينتقل العرش إلى أسرة أخرى عن طريق زواج أحد أمرائها من أميرة من البيت المالك.

غير أن هذا الرأي تدحضه الشواهد الأثرية إذ هناك عدد من الملوك وصلوا إلى الحكم ولم تتحقق فيهم هذه القاعدة، مثل " حور محب" آخر ملوك الأسرة 18 ورمسيس الأول مؤسس الأسرة 19، وكل منهما لم يكن ينتمي إلى الأسرة المالكة، كذلك هناك ملكات أنجبن ملولكا ورثوا العرش ولم يكن في الواقع ينتمين إلى البيت الملكي مثل الملكة "تي" زوجة "أمحنتب الثالث" وهي والدة "أمنحتب الرابع" أو "أخناتون".

كذلك هنالك من الملوك من لجأ إلى نسج أسطورة " الولادة الإلهية" لتبرير وتدعيم جلوسه على العرش مثل الملكة " حتشبسوت" الأسرة الثامنة عشر، ومضمونها هو أن الإله "آمون" تجسد في شخص والدها وكان نتيجة ذلك أن أنجبت والدتها طفلة من صلب الآلهة لها حق وراثة عرش مصر.

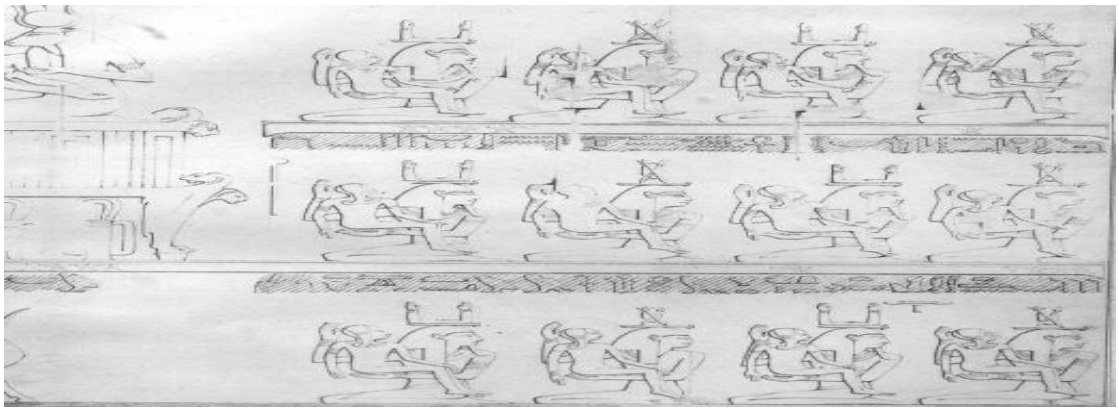

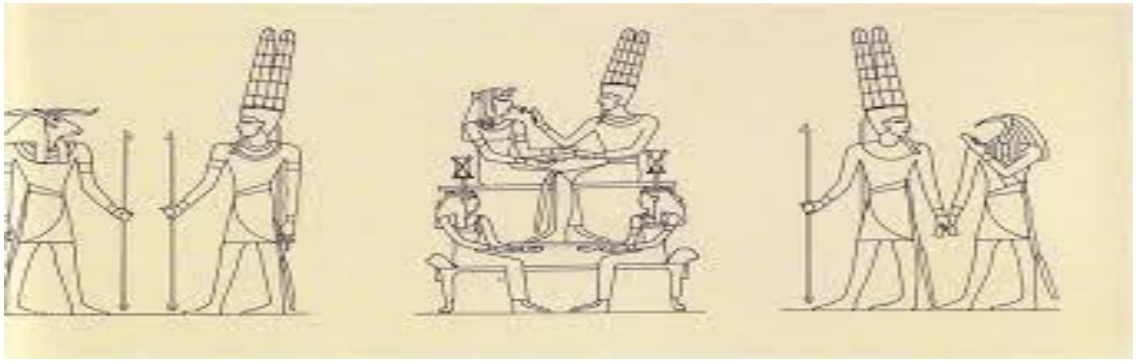

مناظر من أسطورة الولادة الإلهية للملكة حتشبسوت من معبدها في الدير البحري

رمسيس الثاني

المحاضرة السادسة: المعتقدات الدينية – نشأة وتطور الفكر الديني–

1–نشأة الفكر الديني عند المصريين القدماء:

انتقل الانســـان المصـــري القديم من حياة التنقل والترحال، التي عاش فيها على القنص والصـــيد وســـكن الكهوف، إلى حياة أكثر تطورا واســـتقرارا عندما عرف الزراعة واســـتأنس الحيوانات، وخلال كل ذلك كان يتطلع إلى العالم المحيط به، ويتساءل عن أسرار هذا الكون ومن خلقه؟ وماهي القوى التي تتحكم به وبحركته؟ وحاول إدراك وفهم ما يجري في بيئته من ظواهر أثرت على حياته بالسلب أو بالإيجاب[1].

لقد تميز هذا الفكر بالتأمل والتتبع ومحاولة فهم كل ما هو موجود في البيئة، في محاولة لإيجاد تفســـير أو تبرير للحوادث والظواهر الكونية، إلا أنه كان من الصـــعب عليه إدراكها بعقله البدائي وبحواســه وما توصــل إليه من خبرة، مما دفعه إلى إرجاعها إلى قوى غيبية لها القدرة ما يفوق قدرته، وهي المتحكم والمحرك لتلك الظواهر[2].

اعتقد الانسان المصري القديم بوجود هذه القوى المعنوية، وبدأ التفكير في ماهيتها انطلاقا من إحساسه بالخوف من المجهول والرغبة في التقرب منه، وبدأ يتبلور لديه الخيال الخصب والبناء فأخذ يعطي لكل منها شــكلا معينا ومثَّلها على طريقته ليجعل من بعضــها أصــدقاء والبعض الآخر أعداء، فمثلا فيضـــان النيل المنتظم كل عام، الرياح، الأمطار، الشـــمس وغيرها كلها ظواهر اســتحقت التقديس لأنها تهب له الخير الكثير، أما الفيضــانات المفاجئة والمدمرة، العواصف والزلازل مثلا فهي تعرّضه للأذى، لذلك كان يبحث عن وسيلة لإرضائها على أساس أنها قوى غاضبة منه عليه أن يأمن شرها[3].

---

[1] عبد المنعم أبو بكر، أساطير مصرية، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1954، ص2.

[2] محمد الخطيب، دبانة مصر الفرعونية، ط1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص 5.

[3] عبد الحليم نور الدين، الديانة المصرية القديمة –لمعبودات–، ج1، ا، ط2، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص 21.

ومن هذا الشـعور بدأت عملية التدين ونشـأت الديانة المصـرية القديمة التي لم تكن في جوهرها سـوى الاعتقاد المسـيطر على الانسـان بأن هناك قوى تحيط بعالمه وتؤثر فيه، وما كان منه إلا إيجاد وسيلة للتواصل معها فجسدها في هيئات حيوانية وبشرية وأخرى مزيج بين الاثنين، وأعطى لكل منها اسما ليسهل عليه تقديم العطايا والقرابين للتقرب منها، ولم يلبث أن صاحب تلك التقديمات والقرابين بعض الحركات والرقصات التي كانت النواة الأولى لما عُرف بالطقوس ومراسم العبادة[1].

ملاحظة: جسـد الانسـان المصـري القديم معبوداته في هيئات حيوانية بناء على الخصـائص والمميزات التي وجدها في بعض تلك الحيوانات، فبعضـــها كان يهدد حياته والبعض الآخر كان يســـتفيد منه ويعود عليه بالخير الوفير مثلها مثلو الظواهر القوى التي كانت تحيط به، لذلك اهتدى إلى فكرة المزج بين ما هو معنوي و ماهو مادي، ولكي يكون لديه شيء ملموس يستطيع أن يقدم له القرابين ويؤدي له الصـلاة وهي التماثيل المختلفة التي وضـعها في زوايا تطورت لتصبح معابد ضخمة.

2-تطور المعتقدات الدينية:

تعددت المعبودات في مصـــر بتعدد الظواهر والبيئات، فكانت هناك ظواهر عامة وهي الظواهر الكونية كالشـمس، القمر، السـماء، النجوم، الأرض وغيرها، وظواهر محلية ارتبطت ببيئة معينة، حيث كان لكل قبيلة إلهها ومعبودها الحامي، الذي يلجأ إليه سكان القبيلة لطلب العون والبركة في السلم والحرب، ومع التطور الحضاري الذي شهدته المنطقة تدريجيا ظهرت المدن والمقاطعات وأصبح لكل منها إله رئيسي دون إلغاء أو تهميش آلهة القبائل الصغرى[2].

- ولأسباب مجهولة وفي مرحلة معينة اتحدت تلك المدن في شكل أقاليم بلغ عددها 42 إقليما، هذا التكتل نتج عنه استقلال سياسي كان له الأثر الواضح على تطور المعتقد الديني،

[1] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 67.

[2] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص 10.

حيث كان لكل إقليم معبوده الخاص الذي يحمل اسمه ويظهر في شكل حيواني أو بشري، وهو الإله الحامي ويُنظر إليه باعتباره السلطة العليا وسيد الإقليم. وبفعل تصاعد النفوذ الاقتصادي والسياسي لأقاليم دون أخرى تعاظم نفوذ آلهة على حساب أخرى، كما اختفى عدد منها أو ظل نطاق عبادتها محدودا جدا، وكانت مكانة الإله تتبع مكانة المدينة أو الإقليم الذي عبد فيه، وكانت المدينة التي تسود –أي تُصبح لها السيادة – يسود إلهها ويصيح حسب عقيدة كهنته هو رب الأرباب وملك الآلهة[1].

- كانت المعبودات بمثابة سلسلة مراتب إلهية تتبع مراتب الأقاليم السياسية، ويرجع ذلك غالبا إلى طبيعة الأرباب وأدوارهم، وما تمتعوا به عبر العصور من سلطة ونفوذ رفعت من شأن آلهة وحصرت أخرى في منطقة محلية محدودة، دون أن نستثني دور الكهنة الذين كان لهم الفضل في صياغة تلك الأفكار التي سرعان ما تحولت إلى معتقدات.
- اتحدت أقاليم مصر قبل 3200 ق.م في مملكتين منفصلتين هما مصر السفلى أو الوجه البحري وإلهها "حور" ومصر العليا وإلهها "ست"، غير ان تعدد الآلهة قد حافظ على مكانته وظلت الآلهة المحلية تعبد محليا، واحتفظت الآلهة الكونية بمكانتها مثل عبادة الإله "رع" إله الشمس، وبعد الوحدة جمع الملك ن عرمر سلطة الحكم في يده، وأعلن أن التاجين والإلهين قد توحدا في شخصه، ومن ثم بدأت عقيدة تأليه الملك وحلول روح الإله فيه[2].
- ومع بداية العصر العتيق بدأت مرحلة تاريخية جديدة عرفت خلالها مصر تغييرات جلية مست كل الميادين، ومالبثت أن أصبحت الديانة الرسمية للدولة هي ديانة الملك نفسه وإلهه هو الإله الرسمي للبلاد، وهذا لم يمنع تقبل حق الجميع في الاحتفاظ بآلهتهم الخاصة التي توارثوها عن أجدادهم، بل وكان لابد من إيجاد ترابط بين مجاميع هذه الآلهة، فاتجه الكهنة إلى الربط بينها وأوجدوا أقرب صورة إلى ذهن الانسان وهي صورة الأسرة الإلهية على

---

[1] محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان –الديانات القديمة–، ج1، دار الفكر العربي، د.م، 1965، ص 7.

[2] والتر إمري، مصر في العصر العتيق، الأسرتان الأولى والثانية، تر: النوير راشد محمد – كمال الدين محمد علي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، 2000، ص 27.

نسـق الأسـرة البشـرية، فظهر الإله الأكبر وله زوجة وأبناء وأحفاد، فظهرت الأسـر الإلهية الكبرى لتبرز معها فكرة الثالوث، الثامون، والتاسـوع التي شـكلت المذاهب الدينية المختلفة التي تبناها كهنة المدن الكبرى والتي حاول من خلالها هؤلاء أن ينسـبوا لمدينتهم فكرة الخلق الأول وبأن إلههم هو الإله الأول والخالق للكون والموجودات، ويبدوا أن الكهنة الذين اعتبروا فلاسـفة المجتمع، كانوا يجتهدون كي تكون لمدينتهم الأقدمية والأصـالة، مما يعزز مكانتهم السياسية في البلاد ويمنحهم السيطرة والنفوذ[1].

- وخلال عصـر الدولة القديمة تطور الفكر الديني حيث ظهرت الأهرامات وهي تطور للمقابر الملكية، وظهرت جليا فكرة الخلود، كما وصـل التحنيط لدرجة كبيرة من التطور، ولكنه اقتصـر على العائلة الملكية وكبار الموظفين والكهنة وبعض المعبودات من الحيوانات المقدسـة، وقد احتل الإله "رع" مكانة مميزة حيث كان سـيد الآلهة، وظهرت كذلك النصـوص الدينية "نصـوص الأهرام"، التي تعبر عن تصـور المصـريين لحياة مابعد الموت ورحلة المتوفى أثناء عبوره إلى العالم الآخر، وقد اقتصرت على الطبقة المالكة فقط[2].

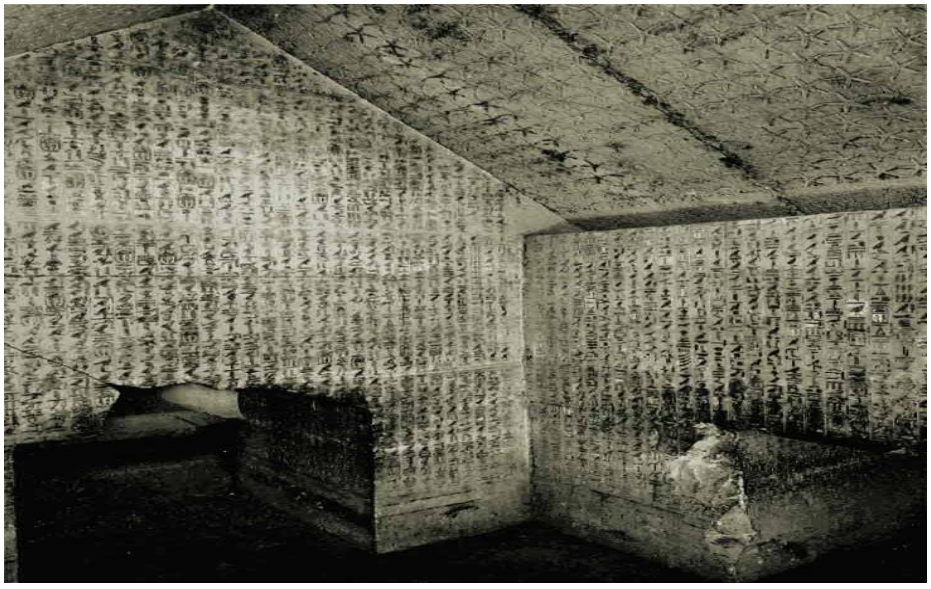

نصوص الأهرام

[1] عبد الحليم نور الدين، الديانة المصرية القديمة – الفكر الديني – ط 2، الأقصى للطباعة، القاهرة، 2016، ص 33.

[2] أحمد أمين سليم – سوزان عباس عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 17.

- ومع نهاية الأسرة السادسة دخلت البلاد في حالة فوضى مست كل الميادين لاسيما الدينية منها، عرفت بعصر الانتقال الأول حيث اهتزت صورة الملكية المؤلهة التي سادت في العصر العتيق والدولة القديمة، ولجأ عامة الشعب إلى تسجيل النصوص الدينية على توابيتهم الخشـــبية رغبة منهم في الوصـــول إلى العالم الآخر الذي كان قبل ذلك حكرا على الملوك، واستمر استخدام نصوص التوابيت التي تعتبر تطورا لنصوص الأهرام حتى نهاية عصر الانتقال الأول والدولة الوسطى، وفي هذه الفترة بدأ الإله آمون في أخذ الصدارة بين الآلهة خاصة بعد أن أصبحت طيبة هي عاصمة البلاد، فأقيمت له المعابد وأصبح الإله الرسمي للبلاد، ودُمج مع الإله رع لتكون له صفة الأصالة، فأصبح " آمون رع"، واعترفت عبادة آمون بمجاميع الآلهة الأخرى[1].

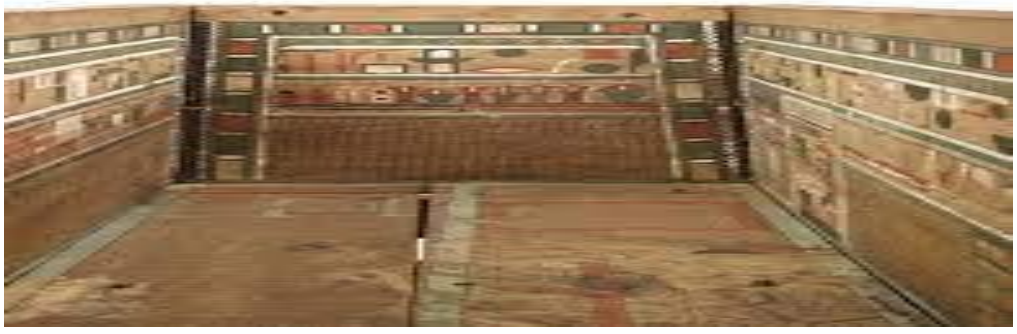

نصوص التوابيت

[1] كلير لالويت، الفراعنة في مملكة مصر زمن الملوك الفراعنة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص200. وانظر: محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 96.

- غير أن عصر الدولة الحديثة قد شهد منعطفا هاما وتغييرا جذريا في الديانة المصرية القديمة، حيث ظهرت أولى بوادر التوحيد عندما أعلن الملك " أمنحتب الرابع" أو "أخناتون" أن العبادة الرسمية للدولة هي عبادة الإله " آتون" المتمثل في قرص الشمس، ومحاولة الانتقال بالفكر الديني المتوارث والمبني على الاعتقاد بتعدد الآلهة وتنوعها، إلى الاعتقاد بوجود إله واحد يمتلك في ذاته مجموع القوى، مع تحريم عبادة سائر الآلهة الأخرى، ونقلت العاصمة إلى تل العمارنة بعد دخول هذا الملك في مواجهة مع كهنة المعابد الأخرى، والذين رفضوا الدين الجديد الذي حرمهم من السيادة والثراء و السلطة.[1]
- انتهت دعوة أخناتون نهاية سريعة ومباشرة بعد وفاته، نتيجة ظروف داخلية وخارجية أهمها العداء الشديد من الكهنة الذين سارعوا إلى إعادة السطلة لمعبوداتهم لتعود معها التعددية وعلى رأسها عبادة الإله آمون، واستمر ذلك حتى نهاية هذه الحضارة.[2]
- في هذا العصر زاد اهتمام المصريين القدماء بالتفكير في العالم الآخر، وأصبح كل فرد يكرس حياته الدنيا لحياة مابعد الموت، فاحتوت المقابر على عدة شواهد، صور نصوص مختلفة عرفت بكتاب الموتى وهو أحد الكتب الدينية التي سيطرت على الفكر الديني خلال عصر الدولة الحديثة، ويتضمن كل المراحل التي يمر بها الميت من يوم وفاته حتى بلوغه العالم الآخر، مرورا بالمحكمة الإلهية للحساب أمام الآلهة، ويتضمن مناظر تحنيطه، جنازته، حياته بعد الموت وغيرها، وهو عبارة عن حوالي 200 فصل سجلت على أوراق البردي، جدران المقابر، لفائف المومياوات، تاتعاويذ والتمائم، وهو تطور للنصوص الدينية : نصوص الأهرام ونصوص التوابيت.[3]

---

[1] سيريل ألدريد، أخناتون، تر: أحمد زهير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 73.

[2] سيد كريم، لغز الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص 84.

[3] عبد الحليم نور الدين، الديانة...، ج3، ص 343 -344.

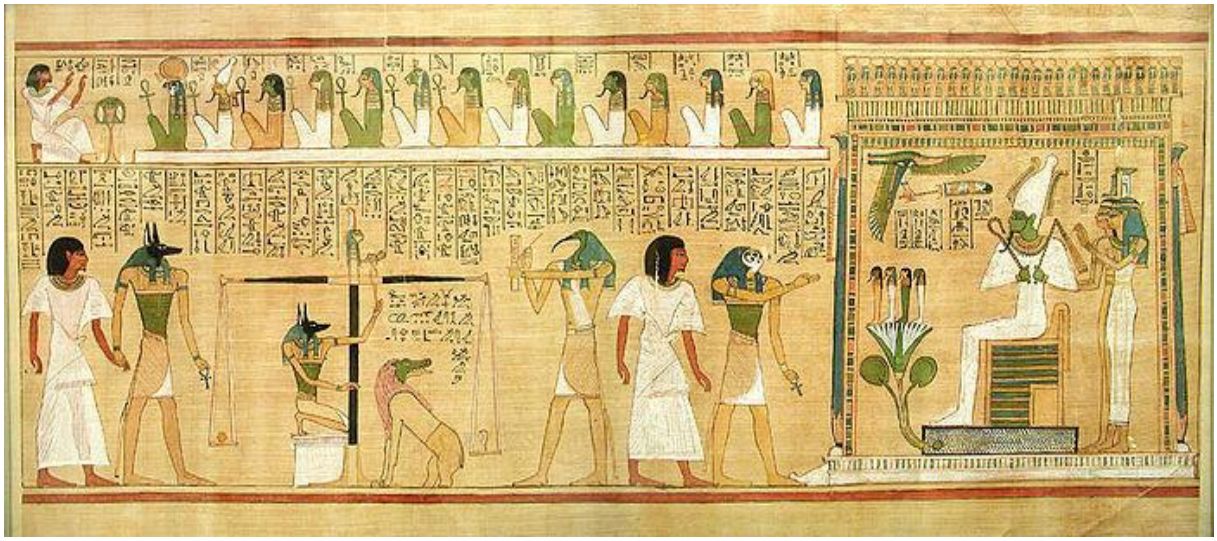

مشاهد من كتاب الموتى

المحاضرة السابعة: خصائص الديانة والمعبودات

تميزت الديانة المصرية بعدة خصائص انفردت ببعضها عن ديانات العالم القديم، وذلك راجع لطبيعة المعتقدات والآلهة التي آمن بها المصـــريون القدماء مثل الإيمان بالعالم الآخر وبوجود حياة أخرى بعد الموت، التحنيط والاهتمام بالمقبرة، الرمزية والتعدد وغيرها.

1-الإيمان بالحياة والحســاب ما بعد الموت: ما من شــعب اهتم بعقائد ما بعد الموت على مر التاريخ كالمصـريين القدماء، وقد رصـدها الإرث الديني المادي والمعنوي الذي كان نتيجة لعقيدة متميزة انفرد بها المجتمع المصري القديم[1].

اعتقد المصـريون القدماء بأن الموت ما هو إلا حاجز بين عالمين متصـلين، هما عالم الدنيا وعالم الآخرة، وأن الموت ليس فعلا نهاية كل شـيء بل إن الانسـان يواصـل الحياة كما لو كان على الأرض، بشـرط أن تُكفل له الشـروط الضـرورية للخلود بعد الموت[2]، كما اعتقد بوجود ثواب وعقاب على ما قدمه في حياته الدنيوية، مما كان له الأثر الواضـح في حرصـه على تصـوير هذه الحياة الأبدية والإسـهاب في وصـف مصـير المبرئين في المحكمة الإلهية في العالم السـفلي مع الآلهة والأرواح الطيبة، والتحذير من مدى سـوء عاقبة المذنبين الذين انتظرهم مصير مجهول في الجحيم[3].

ملاحظة: المحكمة الإلهية هي إحدى المحطات والمراحل التي يمر بها الميت أثناء عبوره إلى العالم الآخر.

هذه الأفكار البســيطة التي تميزت بالطابع الفلســفي دفعت المصــريين القدماء إلى تكريس حياتهم ومجهوداتهم في الدنيا لحياتهم الأبدية الأخرى.

---

[1] ماجدة السيد جاد، العالم الآخر ومكانته في المفهوم المصري القديم، رسالة د مقدمة لنيل شهادة كتوراه في التاريخ القديم، 2002، ص21.

[2] Jhon Ray,Reflection of Osoris, Ed. Oxford University Press, New York, 2002, p 10.

[3] عبد الحليم نور الدين، الديانة...ج 3، المرجع السابق، 246.

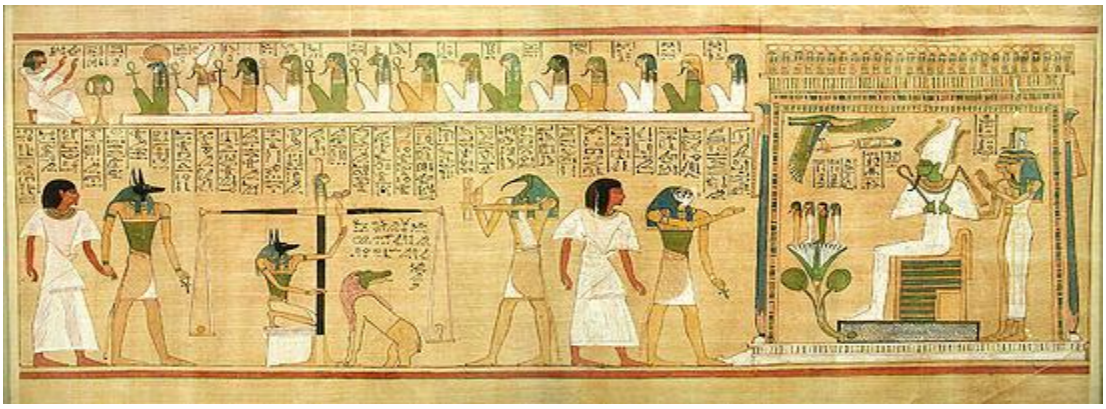

المحكمة الإلهية

وقد تزامن الاعتقاد الإيمان بالحســـاب والحياة بعد الموت تكثيف الجهود لتحقيق تلك الغاية، فكان لابد من الاهتمام ب:

أ- **التحنيط والحفاظ على جســـد المتوفى:** اعتقد المصـــريون القدماء بأن الروح تفارق الجســد بعد الموت وتنطلق بحرية في الســماء، ولكنها تعود إلى المقبرة للتعرف على جســد صـاحبها، لذلك كرسوا الجهود للحفاظ على الجسد سليما خوفا من التحلل لكي تتمكن الروح من التعرف عليه[1].

وكان لوجود الأجساد محفوظة نتيجة ملامستها الرمال بشكل مباشر خلال عصور ما قبل الأسرات أثره الكبير في توجيه المصريين منذ وقت مبكر إلى التفكير في إمكانية الحفاظ على الجسد، فنشأت أساليب متنوعة هدفها ضمان سلامته سُميت بعملية "التحنيط"، التي برعوا فيها فحافظت بذلك الكثير من المومياوات على الملامح المألوفة للمتوفى.

التحنيط شعيرة جنائزية قبل أن تكون طبية، وقد اختلفت أنماطه حسب انتماء الفرد والفترة، كما أننا لا نعرف متى بدأ بالتحديد، ولكن الدلائل الأثرية تُشير إلى أنه تقدم تدريجيا واكتمل خلال عصر الأسرة الثالثة وبلغ أوجه خلال عصر الأسرة الرابعة.

[1] ج. شيتندورف – ك. سيل، عندما حكمت مصر الشرق، تر: محمد العزب موسى، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 112.

مومياء

ب- البيت الأبدي أو المقبرة: كان لاعتقد المصـــريين القدماء بالحياة ما بعد الموت أن جهزوا مقابرهم بكل ما يحتاج إليه الميت لراحته، فهي البيت الأبدي، وعند باب المقبرة وقبل الدفن كانت تُقام شـــعيرة "فتح الفم" – وهي لمس حواس المومياء وتلاوة بعض التعاويذ السحرية عليها كي تعود إليه هذه الأخيرة بعد الدفن ويتمكن من استعمالها-.

كانت المقابر في البداية بسيطة ثم تحولت مع تطور الفكر الديني والحضاري لتصبح أهرامات ومقابر متكونة مجموعة من الحجرات المتصلة بغرفة الدفن، وتركت مفتوحة لتتمكن الروح من التنقل والخروج إلى مكان القرابين، وكان المصـــري القديم يُجهز مقبرته بالطعام والشراب وحتى الأثاث والمجوهرات وغيرها لأنه اعتقد بأن روحه ستحتاج إليها بعد الموت[1].

في بعض التوابيت والمقابر رُســمت على جدرانها مشــاهد لكل الأشــياء، مناظر عن حياته اليومية ولأنشطة التي كان يقوم بها في حياته، حيث ساد الاعتقاد بأنها تتحول بالسحر إلى أشياء حقيقية تلبي احتياجات المتوفى وأن هذا الأخير سيعيش حياة تُحاكي ما جاء في تلك المشاهد، وهو ما تميز به المصريون القدماء الذين اعتقدوا بأن الصيغ السحرية تُؤثر على الأحياء والأموات[2].

---

[1] وفاء صديق، رحلة الخلود، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2006، ص 25.

[2] إيمان شمخي جابر مرعي، عقائد مابع الموت في مصر القديمة خلال عصر الجولة الحديثة (1580 – 1085 ق. م)، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 13، جامعة البصرة، العراق، 2012، ص 197.

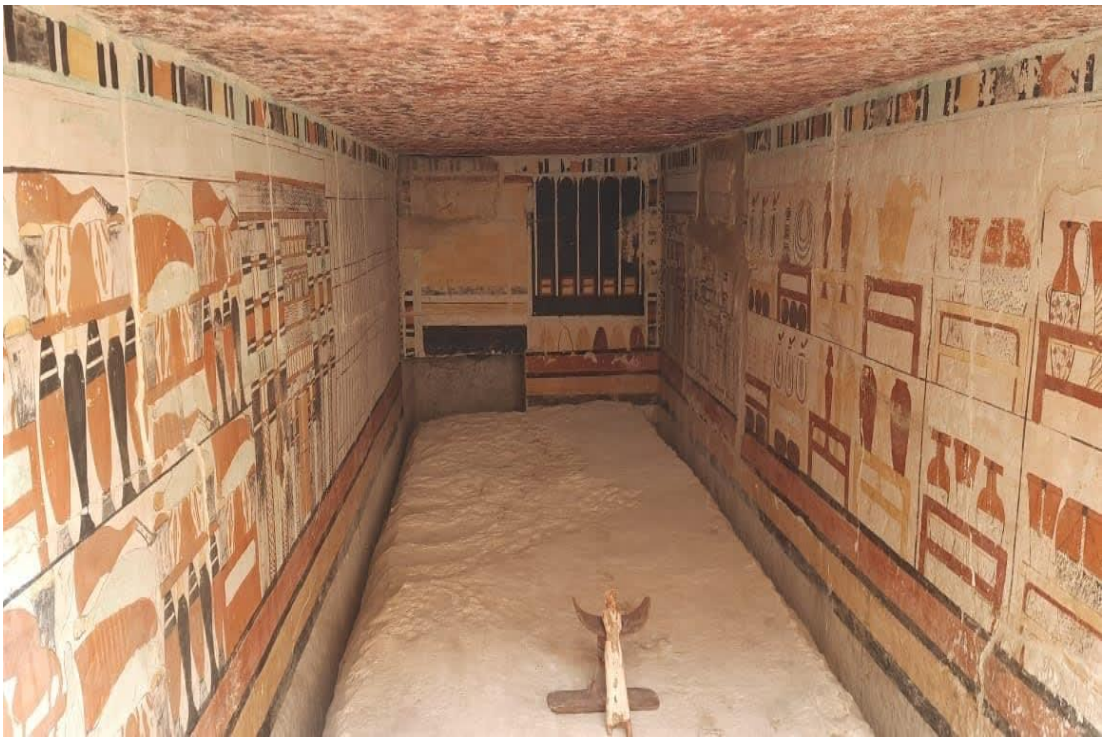

منظر من داخل إحدى المقابر

2- الرمزية والتعقيد:

أ- **الرمزية:** من أهم خصائص الديانة المصرية القديمة الرمزية، حيث لجأ المصريون إلى استخدام الرمز والعلامة من أجل التعبير بإيجاز عن كل ما لا يستطيعون التعبير عنه أو فهمه بوضوح، ولم تقتصر الرمزية على الجانب العقائدي وإنما امتدت إلى كل نواحي الحياة والمعرفة[1].

والرمز عبارة تُطلق على شيء مرئي يمثل للذهن شيء غير مرئي لما بينهما من تشابه، وهو الصورة التي تمثل الفكرة، مثال: كان المصري القديم يجسد ويصور إله ما في هيئة حيوانية استنادا إلى صفة وصلة بين الإله وبعض خصائص هذا الحيوان الشكلية والوظيفية، فرُمز مثلا بالصقر للإله حورس للدلالة على القوة، والبقرة للآلهة حتحور للدلالة على الأمومة[2].

[1] منى زهير الشايب، الرموز المقدسة في أدوات التزيين في مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1999، ص 93.

[2] المرجع نفسه، ص 180.

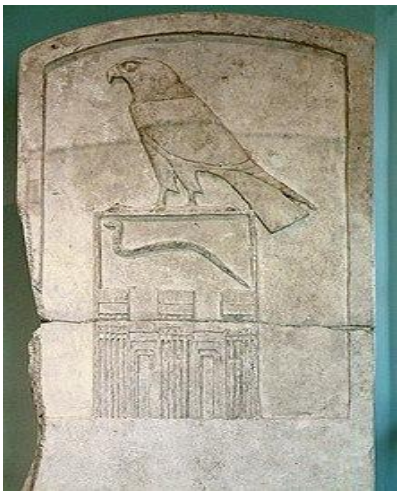

الإله حورس

الآلهة حتحور

كما رُمز لبعض الآلهة بعلامات غير مفهومة أحيانا، مثل:

- رمز "التيت" وهي علامة تمثل الحزام والعقدة التي شـــدت بها إيزة حول خصـــرها لحماية جنينها من الإله ست –كما جاء في أسطورة إيزة وأوزير–

- ريشة النعام أخف الأوزان فكانت رمز آلهة العدالة أو "الماعت".

- رمز "عنخ" أو مفتاح الحياة كان رمزا للحياة والبعث والخلود بعد الموت

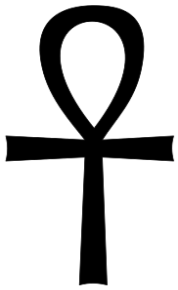

- عين "الأوجات" رمز لانتصار الخير على الشر ورمز الشفاء والحماية.

- رمز "عمود جد" ارتبط بالإله أوزير، هو رمز الثبات، الدوام، الاســـتمرارية، البقاء والبعث، هو من الزخارف المحببة في العمارة والأدوات والحلي والأثاث.

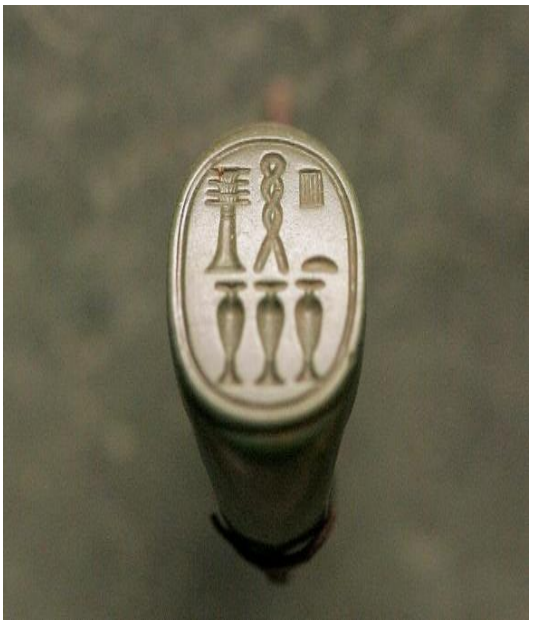

ب- **التعقيد:** كل الديانات القديمة اتسمت بالتعقيد والغموض لاسيما الدين المصري القديم، وذلك راجع لعدة أسباب أهمها:

- التنوع الكبير في مظاهر هذه الحضارة وتغلغل الدين فيها وتأثيره عليها.
- لم تكن هذه العقيدة من خلق مفكر واحد بل مجموعة من التيارات اللاهوتية والسياسية التي كانت تتنافس على السلطة والسيادة عبر عصور من الزمن.، ونقصد بها المذاهب الدينية.
- التغيير والاستمرارية ونقصد بها تغير أسماء الآلهة الرسمية بتغير السلطة السياسية ومزج إلهين أو مجموعة من الآلهة في إله واحد مثل "آمون رع"، أما الاستمرارية فهي استمرارية عبادة آلهة متعددة خلال عصور من الزمن توارثها المصريون القدماء عبر الأجيال مثل عبادة الإله "رع"، إلا في حالات استثنائية مثل ديانة أخناتون وهي عبادة "آتون" التي انتهت بوفاته.
- كما أن تعدد الآلهة وإشراكها في أكثر من صفة كان سببا في هذا التعقيد، وتظهر هذه المعبودات في أشكالها المجسدة وهي تحمل مجموعة من الرموز والعلامات وتشترك في صفات متعددة تجعل هذه الديانة أكثر الديانات تعقيدا، خاصة وأن المصريين القدماء لم يُخلفوا كتابا مقدسا واحدا توارثوه عبر الأجيال وإنما الدارس لهذا المجال يقف أمام كم هائل من الآثار والمخلفات والنصوص التي كان الدين هو الطابع الرئيسي لها.

3- التعددية: إن ديانة أي شعب من شعوب العالم القديم قد تأثرت بالبلاد التي سكنها هذا الشعب والحياة التي عاشها، فبيئة الانسان الذي سكن شاطئ البحر اختلفت عن بيئة ذلك الذي عاش في الصحراء، والذي عاش مستقرا في حقله الخصب فكر في آلهة اختلفت طبيعتها عن تلك التي تخيلها وعبدها من عاش حياة الترحال والتنقل من مكان لآخر، فالديانة

المصــرية القديمة قد اتخذت طابعا يتفق مع الحياة والعمل الذي فرضــته البيئة التي كان لها الأثر الواضح في تعدد المعبودات.

ويرجع تعدد المعبودات إلى:

- تعدد الظواهر الطبيعية والكونية التي اعتقد المصــريون القدماء بأن هناك قوى علوية خفية تحركها وتتحكم بها.
- رأى المصـــــريون أن هنـاك علاقـة بين بعض الحيوانـات وبعض الظواهر الطبيعيـة، فقدســـوها وجعلوا لها التماثيل والمعابد وحنطوها بعد موتها، ولم يقدســـوا الحيوان بل صفة من صفاته.
- طبيعة المجتمع المصـــري القديم والأحداث التاريخية التي مر بها، ونقصـــد بذلك أن المعتقدات الدينية والآلهة التي ســادت منذ أن كانت مصــر عبارة عن قرى صــغيرة اســتقرت في مناطق مختلفة بالقرب من المســطحات المائية، إلى غاية ظهور المدن والأقاليم الكبرى التي ظهرت معها الآلهة السّيدة والآلهة المحلية، ثم تكتل تلك الأقاليم في مملكتين ومن ثم توحيد مصـــر وبروز مجاميع الآلهة المتكونة من الآلهة الكونية مع بقاء عدد كبير من الآلهة المحلية المتوارثة.

لم تقتصر المعبودات على الظواهر الطبيعية وإنما قدسوا الملوك وكل ما كان له الفضل في تطور حضارتهم مثل الكتابة[1].

[1] للمزيد عن خصائص الديانة المصرية القديمة، أنظر: بد الحليم نور الدين، الديانة...، المرجع السابق. وانظر: صاموئيل نوح كريمر، أساطير العالم القديم، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974,

المحاضرة الثامنة: المؤسسة الكهنوتية والطقوس الدينية.

إن العملية التعبدية هي نظام معقد يتميز بتفاصيل التنظيم والانضباط، أشرفت عليه سلطة دينية بالغة التنظيم والترتيب، كان لها الدور الهام والبارز في مختلف المجالات المرتبطة بالمجتمع المصري القديم، بداية بالنظام الديني ليتعداه إلى المجال السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي، وتمثلت هذه السلطة في المؤسسة الكهنوتية. وتشير كلمة "كهنة" إلى العاملين الذين كانوا ملحقين بالمعابد، ومهمتهم أداء المهام العديدة والمتنوعة داخله، وعلى رأسها الطقوس اليومية للآلهة، طقوس الاحتفالات والطقوس الجنائزية، إلا أن الكهانة في مصر القديمة لم تقتصر على ذلك بل كان للكهنة دور بارز في المجتمع، ذلك لأنهم كانوا يعتبرون حماة لبيوت الآلهة المقدسة، ووسائط بين أفراد الشعب ومعبوداتهم، يقودهم في ذلك حاكم البلاد، الذي اعتبر فعليا من صلب إلهي سواء كان ملكا أو ملكة، مما أدى إلى تزايد سلطتهم الدينية والسياسية عبر العصور.

أولا: نشأة الكهنوت المصري القديم

قال هيرودوت:" **أن المصريين كانوا أشد الناس تدينا، يهتمون أشد الاهتمام بالشعائر الدينية**"[1]، فالمصريون القدماء كانوا متمسكين بدينهم بدرجة كبيرة، وكانت حياتهم الدنيوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعالم الإلهي الذي اعتقدوا بوجوده، لذلك أقاموا المعابد والمقاصير للمعبودات لجعلها مستقرا أرضيا لها، ولما كان الملوك هم خلفاء الآلهة على الأرض، فإنه كان من واجبهم القيام بكافة الواجبات الدينية الكبرى اتجاه أسلافهم من الآلهة مثل: بناء المعابد، تقديم القرابين، أداء الصلوات والطقوس المختلفة[2]، فحاكم البلاد هو الكاهن الأول

---

[1] هيرودوت، هيرودوت يتحدث عن مصر، الكتاب الثاني، تر: وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة، 2013، الفقرة 37.

[2] بهاء الدين إبراهيم محمود، المعبد في الدولة الحديثة – تنظيمه الإداري والسياسي–، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 34.

لكل معبود ويقف على قمة هيئة المعبد ويشـرف على التنظيم الكهنوتي الذي انبثق أسـاسـا من اختصاصات الملك[1].

كان الملك صـــاحب الحق في خدمة الآلهة، لكن مع تعدد مهامه وكثرتها وكذا تعدد الآلهة وتفرق أماكن عبادتها، كان من المسـتحيل عليه أن يقوم بكل تلك المهام بنفسـه، فقام بتعيين نواب عنه للقيام بتلك الواجبات وهم الكهنة، لكنه احتفظ بها اسـميا فقط وبقيت صـوره مرسومة على جدران المعابد على أنه المشرف على آداء جميع الطقوس للأرباب ، وكثيرا ما كانت صـور الكهنة تسـتبدل بصـور الملك في مناظر الاحتفالات وأداء الشـعائر والصـلوات، أما من الناحية العملية فإنه تنازل عن هذه المهام لمتخصـصـين انتدبهم ليقوموا بها بدلا عنه، وفي بعض الأحيان كان ينيب عنه زوجته، أولاده أو أحد الأمراء أو الأميرات من أفراد الأسرة الملكية، أو أحد من شـــخصـــيات البلاد والمقربين له من البلاط الملكي، وذلك للقيام بالمهام الدينية نيابة عنه وتمثيله في مختلف المناسبات[2].

ثانيا: طرق الانخراط في سلك الكهنوت

لا توجد قاعدة ثابتة كشرط أساسي للالتحاق بسلك الكهنوت، بحيث كان الكاهن يقضـي فترة من التدريب الصـارم على أداء طقوس العبادة، الطهارة والنظافة، ورغم ذلك كانت هناك طرق متفق عليها لتسـهيل الالتحاق بالمؤسـسـة الكهنوتية، مثل حقوق الوراثة وتتمثل في أن يحصـل الشـخص على وظيفة كاهن وراثة من أبيه الذي كان كاهناً، الترشـيح من قبل كبار الكهنة لاختيار بعض الأشخاص ليشغلوا مناصب في السلك الكهنوتي، التعين بمرسوم ملكي وذلك من أجل اختيار شـــخص لمنصـــب كبير الكهنة في المعابد الأخرى أو من أجل نقل

---

[1] بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص 133.

[2] بيير مونتيه، الحياة اليومية في مصر، تر: عزيز مرقص منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 377.

كاهن أكبر من معبد إلى معبد كترقية ومكافأة أو من أجل إبعاد كاهن ذو نفوذ قوي إلي مكان آخر، وأيضا طريقة شراء الوظائف وهي أن يدفع الشخص مبلغا كي يتم قبوله.

ثالثا: طبقات الكهنة

اختلفت طبقات الكهنة عبر العصور تبعا للأوضاع السياسية والاجتماعية، ولكن تمكن المختصون من إحصاء عدد منها وأهمها:

الكاهن الأكبر أو حم نثر: كان على رأس كل كهنوت في كل معبد الكاهن الأول أو الكاهن الأكبر، وهو ينوب عن الملك في تقديم القرابين له نفوذ وسلطة واسعة.

الكهنة المختصـــون: وهم من الكهنة ذوي المراتب العليا يعملون في وظائف خاصـــة بالطقوس اليومية للإله مثل تزيين تمثال الإله بالملابس والمجوهرات وهم الكهنة المزينين، وكهنة مختصون بالعناية بالكتب الدينية.

الكاهن المطهر "وعب": الكاهن المطهر وكان أهم دور له هو التأكد من زكاء الضـــحية، وأنها طازجة وســـليمة قبل تقديمها كقربان للإله، كما كان لهم بعض المهام التطهيرية الهامة.

الكاهن المرتل "غري حب": كان يرتل التعاويذ والنصوص الدينية، وكان في عصر الدولة الحديثة يعتبر كاهناً ساحراً على اعتبار النصوص والتعاويذ الدينية التي كان يقرأها تحمل قوة سحرية.

الكهنة أصـــحاب المهام الشـــاقة "أيمي ســـت عا": كانوا يقيمون ببعض المهام الشـــاقة في المعبد.

الكاهن ســـم: كانت مهام هذا الكاهن جنائزية فقط، حيث يقوم بطقس فتح الفم للمومياء لكي تستعيد حواسها المادية وتستطيع تلقي القرابين والاستفادة منها.

كهنة الساعة: كانوا يقومون بتحديد أيام الأعياد.

الكهنة المنجمون: الكهنة الذين يتنبؤون بأيام النحس والأيام السعيدة.

الكهنة المؤقتون: مجموعة من الأشـــخاص يقومون بالخدمة في المعبد بصـــفة مؤقتة ثم يعودون إلى حياتهم اليومية[1].

رابعا: الطقوس الدينية

تعتبر الطقوس الدينية من الأسس والركائز التي يقوم عليها الدين، وقد لعب الكهنة دورا هاما في وضع أسسها وكذلك شروطها وكيفية تنفيذها والقيام بها. وتعددت الطقوس بتعدد المعابد وأماكن العبادة، وكذا تعدد الآلهة واختلاف صفاتها، إضافة إلى كثرة وتنوع المناسبات الدينية والجنائزية، إلاّ أن جوهر هذه الطقوس كان ثابتا وهو إرضـــاء الآلهة والتقرب منها، وإرضـــاء الموتى وتلبية احتياجاتهم.

يقول هيرودوت: " إن الكهنة كانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة، فهم يســتهلكون ولا ينفقون شــيئا من ثروتهم الخاصة، بل يصنع لهم خبز مقدس، ويحصل كل واحد منهم على كمية كبيرة من لحم البقر والإوز، وتقدم لهم الخمر المصـــنوعة من العنب"[2]، لذلك تمتع الكهنة بامتيازات خاصــة لم تتوافر لغيرهم من الموظفين، لأنهم كانوا يقومون بخدمة الآلهة، وهم القائمون على أداء الطقوس والشعائر لهم.

1-الطقوس اليومية:

هي الطقوس التي كانت تؤدّى يوميا وبصـفة منتظمة داخل المعبد لخدمة الإله، وكانت تقام في مختلف المعابد المصـــرية، وأهمها التطهير، الصـــلاة وتقديم القرابين، وكانت على نوعين: الأولى يقوم بها عامة الكهنة وهي طقوس الخدمة في باحات المعبد، والثانية يقوم بها

---

[1] للمزيد عن طبقات الكهنة في المؤسسة الدينية وشروط الالتحاق. انظر: عبد الخليم نور الدين، الديانة... ، المرجع السابق، محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة – الحياة الدينية–، ج 3، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1989، ص 131.

[2] هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 37.

الكاهن الأكبر ومســـــاعدوه في قدس الأقداس وهو المكان الذي يُحتفظ فيه بتمثال المعبود، وكانت مهام كبار الكهنة متصـلة مباشـرة بالآلهة، أي أنه لم يكن يُسـمح لكافة الكهنة بدخول قدس الأقداس، ماعدا هم ومســـــاعديهم لخدمة هذا الأخير وأداء العبادات، في حين الخدمة التي كان يقوم بها عدد من الكهنة والكاهنات في باحات المعبد فهي أعمال روتينية يومية، مثل تنظيف المعبد، تطهيره وتبخيره وتجهيز موائد القرابين[1].

2-طقوس المناسبات: طقوس الولادة:

رغم وجود عدد كبير من الأطباء في مصـر، إلا أن عملية التوليد كانت مقتصـرة على الطبيبات والكاهنات المختصات في التوليد والقابلات اللائي كن مسؤولات عن إجراء الولادة، ويظهر في النقوش والمناظر الخاصـــة بعمليات الولادة حضـــور مجموعة من الآلهة لحماية الأم والجنين[2].

طقس الولادة

[1] خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، عمان، 1998، 225.

[2] بول غليونجي – زينب الدواخلي، الحضارة الطبية في مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص 130.

تقوم الكاهنات القابلات بارتداء ملابس خاصـــة من الكتان ويمســكن عصـــيا خشــبية معينة، ويقمن بتلاوة تعاويذ لإبعاد أشــباح الشــياطين لأنه في اعتقادهم يجتمعون حول المرأة الحامل لإجهاض حملها أو تأخيره، وتقمن بتصـفيف شـعر السـيدة التي توشـك على الوضـع بتســريحة خاصـــة، ثم تعتزل هذه الأخيرة في مكان يســمى ببيت الولادة أو "الماميزي"، وهي غرفة تابعة للمعبد أو في غرفة يتم بناؤها في فناء البيت أو فوق السـطح لهذا الغرض، حيث تمكث فيها المرأة الحامل لحوالي أربعة عشر يوما بعد الولادة أي حتى تطهُر[1].

طقوس الأعياد والاحتفالات الدينية:

كثرت الأعياد والاحتفالات عند قدماء المصريين وتعددت بتعدد المناسبات، فإلى جانب الأعياد الرســمية للآلهة وُجدت أيضــا أعياد إقليمية أي خاصـــة بكل مدينة، أعياد شــهرية، فصــلية وســنوية، وأغلب الأعياد إن لم نقل جميعها كانت مرتبطة بالآلهة والمعبد، حيث يقوم الملك والملكة، رجال الدين والكهنة بالإشـــراف على أداء طقوس وشـــعائر تلك الأعياد في مختلف المناسبات، وللشعب الحق في مشاهدتها والمشاركة فيها[2].

وأشـــهر تلك الاعياد، الأعياد الشـــهرية أو القمرية، وهي أعياد ربطها الكهنة بمراحل تحوّل القمر، نموه واختفائه، وكان العيدان الرئيســيان هما "عيد ظهور الهلال" و"عيد اكتمال القمر"، أما الأعياد الفصلية فكانت ثلاثة أعياد وهي: "عيد الأَخت" أو الفيضـان، عيد "بيرت" أو الزرع وعيد "شـمو" أو الحصـاد أو ما يسـمى بعيد "شـم النسـيم"*، كانت هذه الأعياد في

---

[1] محمد فياض، فن الولادة فن الولادة في مصر القديمة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص140.

[2] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 276.

* قسم الكهنة الفلكيون السنة إلى 12 شهرا، مقسمة إلى ثلاثة فصول: عيد الأخت وهو عيد الفيضان يبدأ من 19 جويلية إلى 15 نوفمبر ويقابله فصـــل الخريف تقريبا، عيد بيرت وهو عيد الزرع من 16 نوفمبر إلى 15 مارس ويقابله فصل الشتاء بالتقريب، وعيد شمو الذي يمثل فصل الحصاد من 16 مارس إلى 13 جويلية وهو ما يقابله فصل الصيف بالتقريب.

مظهرها أعياد زراعية مرتبطة بالمحاصـيل، بذرها، نموها وحصـادها، ولكن في جوهرها هي أعياد للاحتفال والتقرب من الآلهة التي منحت تلك الخيرات للمصـريين، أما الأعياد السـنوية فهي الأعياد التي كانت تُقام مرة واحدة في العام وفي الوقت نفسـه مثل عيد بداية السـنة ونهايتها، وأعياد الآلهة التي تدوم عدة أيام وهي الأعياد الأكثر شعبية وتقديسا. [1]

طقوس بناء المعابد:

تبدأ مراسـيم الاحتفال بتأسـيس المعبد بطقوس معينة بداية بطقس "شـد الحبل"، وهو الجزء الأكثر أهمية في التأسـيس، حيث يشـرف الملك والملكة أو واحد منها وأحيانا كبير أو كبيرة الكهنة على مراسيم التدشين، بمد حبل وشده بين أربعة أوتاد من أجل تحديد الاتجاهات الخاصـة بالبناء، ويتم هذا العمل مسـاء حيث تشـير النصـوص بأن أركان المعبد تحدد وفقا لموضع النجوم بمساعدة الآلهة "سشات" ربة الكتابة والعلوم والمعمار[2].

3-الطقوس الجنائزية:

وتشـــمل هذه الطقوس إظهار الحزن وإعلانه في كافة أرجاء المدينة، مرافقة المتوفي أثناء ذهابه لعملية التحنيط، ثم الرحلة إلى أبيدوس والأماكن المقدسـة، وملازمة جثمانه أثناء عبور نهر النيل إلى البر الغربي حيث توجد المقبرة، وأخيرا المشـاركة في عملية الدفن وتقديم القرابين، ولم ينته دور الكهنة الجنائزيون عند هذا الأمر، بل اسـتمر في بعض الأحيان إلى ما بعد الدفن، فعدد من الملوك والملكات اسـتمرت عبادتهم حتى بعد وفاتهم، وخصـص لهم نصيب من الخدمة الجنائزية من صلاة طقوس وتقديم القرابين لأرواحهم.

---

[1] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 258.

[2] سُمي المعبد عند المصريين القدماء ببيت الإله، حيث كان في البداية عبارة عن بيت صغير يُوضع فيه تمثال المعبود، ليتطور عبر العصور ويُصبح صرحا معماريا ضخما.

كـان الموكـب الجنـائزي ينطلق من مكـان التحنيط عبر النيـل متكونـا من عـدد من القوارب، يحمل أحدها تابوت المتوفى وجثمانه، في حين توضـــع متعلقاته والأثاث الجنائزي الخاص به في مراكب أخرى مع أهله، أقربائه، حاضـــري الجنازة، ومجموعة من الكهنة والكاهنات من بينهم النائحات والنادبات، وكان التابوت الذي يحوي جثمان المتوفى وصـندوق الأواني الكانوبية* التي تحمل أحشـاءه يوضـع في مركب ويوضـع معه إكليل الزهور، وترافقه نادبتان الكبرى والصـــغرى تحرســـان مقدمة تابوته ومؤخرته، وتســـبقه مراكب أخرى تحمل مجموعة من النادبات والنائحات اللائي يصرخن ويبكين صوب المركب الذي يحمل التابوت، في منظر مهيب من الحزن[1].

الأواني الكانوبية

* الأواني الكانوبية: هي أربعة أوعية لحفظ أحشاء الميت عند نزعها من جوفه أثناء التحنيط، وتختلف من حيث مواد صنعها، ولها أغطية على شكل آلهة تقوم بحمايتها ويُعرفون باسم "أبناء حورس الأربعة".

[1] عبد الحليم نور الدين، الديانة...، ج 3، المرجع السابق، 443.

منظر لموكب الجنازة

وكان لزاما على النادبات والنائحات التطهر قبل أداء الطقوس أربع مرات لمدة سبعة أيام، وكُنّ يغسلن أفواههن ويمضغن النطرون*، ويُبخّرن أنفسهن بحرق البخور للتطيب من أجل هذه المهمة، ويتجهّزن منذ الساعة الأولى من ليلة الدفن، وعند الوصول إلى المقبرة يتم حرق البخور، وتلاوة التراتيم وأداء الشعائر التمثيلية من خلال أداء رقصات طقسية جنائزية من طرف الكهنة الجنائزيين، ويتم عزف الموسيقى من طرف الفرق الموسيقية وتتعالى أصوات المنشدين والمنشدات، الذين كانوا في استقبال الموكب الجنائزي في المقبرة بينما تستمر النائحات والنادبات في بكاء الميت مع أهله وأقربائه[1].

*النطرون: معدن طبيعي يتكون من كربونات وبيكاربونات الصودا في حالة غير نقية.

[1] عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص 434. وانظر: جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص 72.

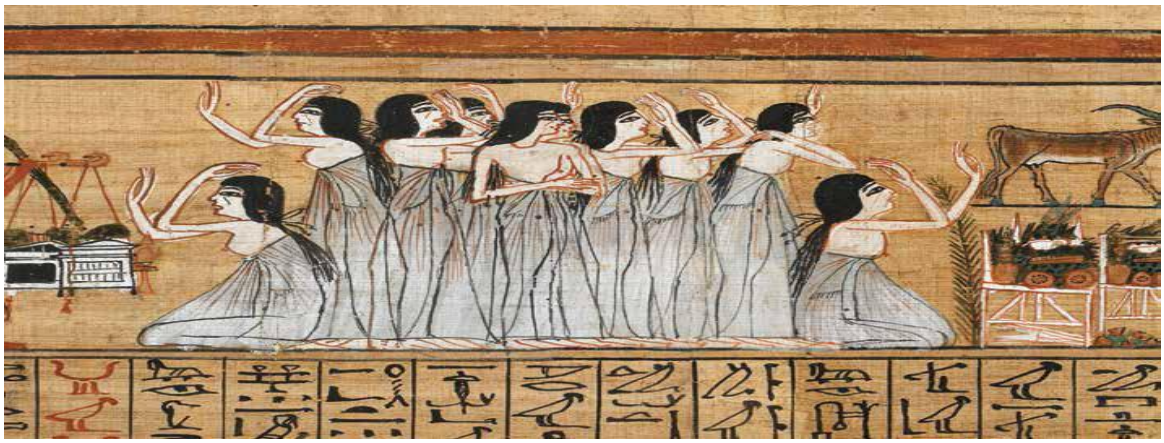

مشهد النائحات والنادبات عند الوصول إلى المقبرة.

وقد جرت العادة أن تجرى واحدة من أهم الطقوس والشـــعائر الجنائزية داخل المقبرة، وهي طقس فتح الفم وذلك قبل وضـــع مومياء الميت داخل قبره، وهو طقس يقوم به الكاهن الأكبر أو الابن البكر للمتوفى، بينما تجلس زوجته وابنته بالقرب منه تبكيانه، والمغزى منه هو إعادة إحياء حواس الميت التي فقدها عقب موته، كي يســـتطيع أن يحي مرة ثانية ويمارس حياته الثانية كاملة، ومنحه القدرة على اســـتخدامها لكي يشـــرب، يأكل، يتحرك، كذلك ليتمكن من الحديث والكلام مع الآلهة للعبور إلى العالم الآخر، ويعتبر طقس فتح الفم خطوة ضرورية لتحقيق البعث والخلود في العالم الآخر[1].

طقس فتح الفم

[1] للمزيد عن الطقوس الجنائزية. انظر: Stephen Quirke, Exploring Religion in Ancient Egypt, Ed. British Library, London, 2015 . وانظر: Foy Scalf, Book of Dead : Becomming God in Ancient Egypt, Ed. Library of Congress, USA, 2017.

4-طقوس السحر:

عُرفت مصـــر القديمة منذ أقدم العصـــور بالســـحر الذي كان يحظى بأهمية وســـطوة كبيرتين، حيث كان يُمارس بين طبقات المجتمع، وارتبط بشـــدة بالمعتقد والفكر الديني، فالمصـــريين القدماء مزجوا بينه وبين المعبودات واعتبروه من ســـلطة وهبات الأرباب، بل إن كبار الســـحرة أنفســـهم كانوا من بين من يشـــغلون مناصـــب كهنوتية بارزة وقد تقابل الســـحر والدين في أكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع، لذلك فقد تمركز الســـــحر في المعابد واعتبر علما من علوم الكهنوت الذي تخصص فيه وفي خباياه الكهنة دون غيرهم، وقد كانت سـيطرة السـحر عند المصـريين القدماء كسـيطرة العقائد الدينية نفسـها، حيث كان من العلوم المعترف بها* التي تُدرس في مدارس المعابد إلى جانب علوم الكهنوت والطب وغيرها.

وقد احتل ركنا كبيرا في النصـوص الدينية، إذ الصـعب التمييز بين الترانيم والصـلوات من جهة وبين التعويذات والصـيغ السحرية من جهة أخرى، وقد اعتقد المصـريون القدماء بأن السـحر يمثل مصـدر قوة الآلهة، وأنه نزل من السـماء مع الإله "تحوت" إله العلم والمعرفة، لذلك برعوا في أساليبه التي أرجعوها إلى الإله "حكا" والآلهة "وريت-حكا" أي عظيمة السحر، التي كانت صـورة عن الآلهة "إيزة" التي سُميت بسيدة السحر، ولم يرتبط السحر بهذه الآلهة فقط بل بجميعها، وهذا حسب ما جاء في الأساطير والنصوص الدينية.

اكما شـغل السـحرة مكانة مميزة في مصـر القديمة، حيث تقلّد بعضـهم أعلى المناصـب في الدولة، وأصـبحوا مسـتشـارين للملك وأعضـاء في المجالس الهامة، كما كان الكثير من كبار الكهنة، العلماء والأطباء يحملون لقب ساحر وذلك إلى جانب مهنتهم الأصلية، وكانت

* لم تكن كل أنواع السحر مسموح بها في مصر، فقد عرف المصريون القدماء نوعين من السحر: السحر المشروع، وهو سحر الحماية، وسحر العلاج وسحر جلب الحظ وهي ما يسمى أيضا بالسحر الأبيض، وسحر آخر ممنوع ومخالف للقانون وهو السحر الأسود الذي كان الغرض منه إيذاء الناس وحتى الموتى فلم يكن مسموحا به، ورغم ذلك فإن فئة من السحرة الكبار كانوا على دراية به.

كتب السحر والبرديات الخاصة به تُحفظ في مكتبات خاصة مُلحقة بالمعبد، فقد اشتهر كهنة معبد "منف" بالذات بالجمع بين الطب والسحر بطريقة العلاج التي تجمع بين استعمال العقاقير الطبية المعروفة والتعاويذ السحرية التي يُعتقد أنها تُعطي الدواء فاعليته وتأثيره بأمر من الآلهة.

إن أغلب ما كان يقوم به المصريون القدماء من طقوس جنائزية وشعائر قد غلبت عليها الصبغة السحرية، فالنصوص الدينية المدونة على جدران المقابر والأهرامات وعلى التوابيت وحتى على لفائف البردي، تحمل تعاويذ سحرية من شأنها حماية الميت وإرشاده إلى الطريق الذي وجب عليه أن يسلكه للوصول إلى العالم الآخر، وكذلك تلك المجسمات والتماثيل التي كانت تُدفن مع الميت فهي حسب اعتقادهم تحمل قوة سحرية كامنة تستطيع من خلالها أن تحيا في العالم الآخر لخدمة المتوفى الذي يأمل أن يعيش من جديد بعد الموت، ضف إلى ذلك طقس فتح الفم الذي يُعد من أبرز مظاهر السحر التي استخدمت على الميت لتعود إليه حواسه ويتمكن من استعمالها لبلوغ عالم الخلود، فالمصريون القدماء لجأوا إلى هذا المجال واستعماله في حياتهم اليومية وحتى بعد الموت على شكل طقوس وشعائر لضمان السعادة والراحة الدنيوية والأبدية[1].

[1] للاطلاع أكثر على موضوع السحر في مصر القديمة. انظر: سيد كريم، السجر والسحرة عند قدماء المصريين، جار الهلال، القاهرة، 1975.

المحاضرة التاسعة: الكتابات عند المصريين القدماء

لقد اهتم الباحثون بالنقوش، الخربشات والكتابات لأنها سجل لأفكار الأمم السابقة وشاهد على علومهم، فنونهم، معتقداتهم وغيرها، فالكتابة تُعد من أعظم الاختراعات البشـــرية التي عرفتها الإنسانية والتي أدت إلى حفظ تراثها ومنجزات الشعوب جيلا بعد جيل.

نشأة وتطور الكتابة في مصر القديمة:

نشـــأتها: كان نتاج الامتداد الزمني الطويل للحضـــارة المصـــرية القديمة أن ظهرت وتطورت أساليب التدوين، حيث اخترع المصريون الكتابة مستقلين عن أي مؤثرات خارجية، أي دون أن ينقلوا شيئا عن أسلوب كتابة آخر، فالرموز الأولى كانت مستوحاة من الطبيعة المصـــرية، ولكن لم تلبث أن ظهرت عليها مؤثرات حامية وســـامية بحكم الاتصـــال مع جيرانها[1].

بدأت الكتابة عندما بدأت الرغبة برســم الأشــياء والتعبير عنها، فهي الوســيلة الثابتة للتعبير عن الفكرة أيضـــا، ولا نعرف على وجه التحديد متى بدأت عملية التدوين ولكن الاستقرار الذي حدث مع العصر الحجري الحديث وتعلم الزراعة واستئناس الحيوانات، كان بمثابة مرحلة هامة في حياة المصري القديم، إذ بدأ يفكر ويتأمل بكل ما يحيط به ومن حوله وتولدت لديه الرغبة في التعبير، كذلك ازدياد عدد ســـكان المدن وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، جعل من الضروري إيجاد وسيلة لحفظ الحقوق وإقرار الواجبات[2].

تطورها: اتفق المختصون بأن بوادر الكتابة الأولى قد ظهرت في منطقة الدالتا قبل الصعيد، وذلك بسبب الظروف السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية التي كان يعيشها سكان الدالتا[3]، وهناك اختلاف حول التاريخ المحدد لظهورها لكن المؤكد هو أنه كان قبل الأســـرة

---

[1] أنظوان زكري، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1995، ص 83- 84.

[2] فخري خليل، الأسس الفنية للكتابة والتعبير، طَ1، دار صفاء للنشر والتوزيع، د.م، 2012، ض 41.

[3] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ط9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011، ص 33.

الأولى، وتحتوي لوحة الملك نعرمر على مبادئ الكتابة، ولابد أنه مر وقت طويل جدا على بدأ المحاولات في سبيل إخراجها في تلك الصورة، وقد تطورت عبر السنين ليتمكن المصريون خلال عصر الدولة القديمة من تدوين قائمة طويلة بأسماء ملوك من عصر ما قبل الأسرات حتى ذلك العصر على حجر بالرمو، وذكروا أنهم نسخوها من النقوش القديمة.

كانت الكتابة المصرية القديمة في منشأها تصويرية بحتة للتدليل على الأشياء لا على الكلمات، ثم تطورت لتدل كل صورة على كلمة معينة، وكانت تعبر عن الأشياء المرئية لكن كان من الصعب التعبير عن الأشياء غير المرئية أو الأفعال، لذلك تحولت الصورة إلى رمز، ثم استعمل الرمز كجزء من الكلمة تمهيدا لظهور الكتابة المقطعية.

وقد اقتصر استعمالها في العصور الأولى من هذه الحضارة على الكهنة، وعدد قليل جدا من أفراد المجتمع، ولم تستعمل إلا في تدوين النصوص الملكية، الدينية والجنائزية، ومع ازدياد الحاجة إليها انتشر استعمالها بين الناس، ويظهر ذلك في تطور الكتب الدينية مثل نصوص الأهرام، التوابيت وكتب الموتى، لتنتقل إلى خارج حدود مصر مع التجار مثل التجار الفينيقيين نحو آسيا و بلدان البحر المتوسط[1].

ومما ساعد في تطور الكتابة في مصر القديمة هو توفر وسيلة التدوين الأكثر سهولة من الأسطح الصلبة وهي أوراق البردي.

أنواع الكتابات:

كُتبت اللغة المصرية القديمة بأربعة خطوط وهي الهيروغليفية، الهيراطيقية، الديموطيقية والقبطية، غير أن هذه الأخيرة لم تظهر إلا بوصول المسيحية إلى مصر، ولم تظهر كلها في وقت واحد بل كانت متتابعة في ظهورها تلبية لمتطلبات الحياة.

[1] شافية شارن، حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 95.

الكتابة الهيروغليفية: هي الكتابة الرسمية في الدولة، كانت تكتب في بادئ الأمر برموز تمثل كائنات أو أجزاء منها في صـورة قريبة من الواقع، وقد أطلق اليونان عليها اسـم الهيروغليفية وهي كلمة مشـــتقة من الكلمتين اليونانيتين هيروس Hierros وغلوفوس Glophos أي الكتابة المقدسـة[1]، وذلك لأنها كانت تُدون على جدران المعابد والمدافن، أما المصـريون فقط ســـموها بالخط الإلهي لأنهم اعتقدوا بأن الإله "تحوت" هو الذي اخترعها إلى جانب الطب، الحكمة، الفنون، العلوم وغيرها، وقد جســـدوه في هيئة آدمية برأس طائر يحمل لوحة بيده اليسرى وقلما بيده اليمنى[2].

الإله تحوت

الكتابة الهيراطيقية: وقد اشـــتق اســـمها من الكلمة اليونانية هيراتيكوس Hieratikos التي تعني كهنوتي، لأن الكهنة كانوا أكثر اسـتخداما لهذا الخط، فكتبوا به النصـوص الدينية وهو

[1] مجدي عباد يوسف، اللغة القبطية واللغة اليونانية، معهد الدراسات القبطية، د.م، د. س، ص 20.

[2] عبد الحليم نور الدين، اللغة...، المرجع السابق، ص 38.

تبسيط للخط الهيروغليفي واختصار له، لأن هذا الأخير كان يستهلك مساحة واسعة وكذلك جهدا ووقتا كبيرين[1].

الكتابة الديموطيقية: ظهرت خلال العصر المتأخر، وهي عبارة عن كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية "شعبي"، وفي اللغة المصرية القديمة تعني لسان أهل مصر، كانت كتابة مائلة سريعة وأكثر اختصارا وهي لغة العوام من الناس[2].

ملاحظة: استطاع علماء المصريات والباحثون دراسة جوانب وتفاصيل عن الحضارة المصرية القديمة بفضل تفكيك "جون فرانسوا شامبليون "رموز الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على حجر عُثر عليه في مدينة "رشيد" أثناء حملة نابوليون الفرنسية على مصر، لذلك سُمي بحجر الرشيد.

الكتابة الهيروغليفية

[1] عبد الحليم نور الدين، اللغة...، المرجع السابق، ص 38. وانظر: أحمد كامل حنفي، المرشد في اللغة المصرية القديمة، د.م، 2010، ص 08.

[2] أنطوان زكري، المرجع السابق، ص 127.

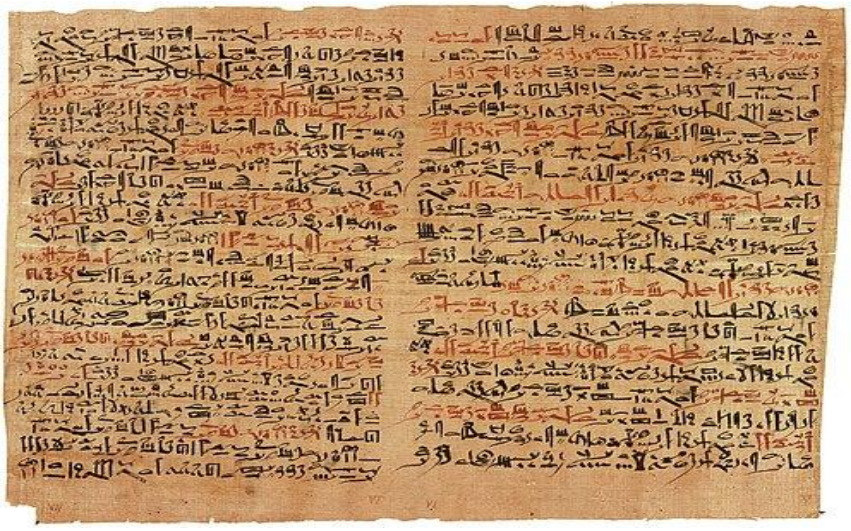

الكتابة الهيراطيقية

الكتابة الديموطيقية

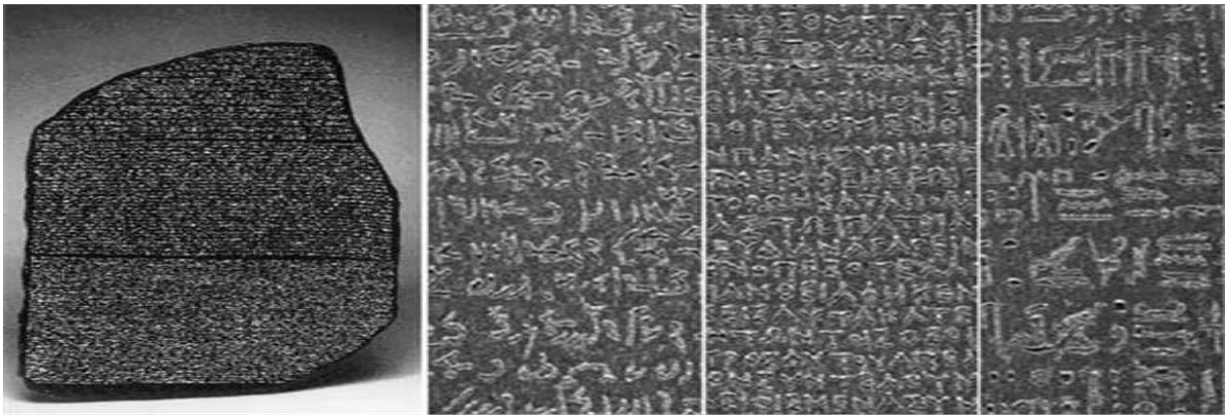

حجر الرشيد

المحاضرة العاشرة: العلوم عند المصريين القدماء

يعزو المصـــري القديم كل ما توصـــل إليه من علوم ومعارف إلى الإله "تحوت" إله القمر، وبخاصـة علوم الفلك، الحسـاب والطب، وكانت المؤسـسـة الكهنوتية هي التي تُشـرف على هذا المجال وتسـيره. وقد شـكلت الحاجة الدافع الرئيسـي لنشـأة العلوم وتطورها، إذ يقول هيرودوت في هذا المجال: "إن علم الهندسة كان وليد الحاجة عند المصري وذلك عندما أراد أن يُقسّـم الأراضـي الزراعية إلى قطع منتظمة"، وهو مثال عن أن حاجة المصـريين القدماء إلى تسيير شؤونهم وتطوير وسائل عيشهم هي التي دفعتهم إلى استخدام العقل والتفاعل مع البيئة لبلوغ تلك الغاية.

1. **علم الحساب والهندسة:** لقد عُثر على برديات تحتوي على مسائل رياضية وأشهرها بردية "ريند" نسبة إلى "ألكسندر هنري ريند" عالم الآثار الإسكتلندي الذي اشترى البردية عام 1858م في الأقصـــر، وهي أقدم وثيقة مكتوبة في الجبر وعلم المثلثات، كتبها الكاتب "أحمس"، وترجع إلى حوالي الأسرة الخامسة عشر –خلال عصر الانتقال الثاني– تضمنت حوالي أربعة وثمانين مشكلة رياضية، واحتوت على جداول القسمة، الضرب والهندسة بما في ذلك الأحجام والمساحات وغيرها، وقد وُضعت في المتحف البريطاني سنة 1865. [1]

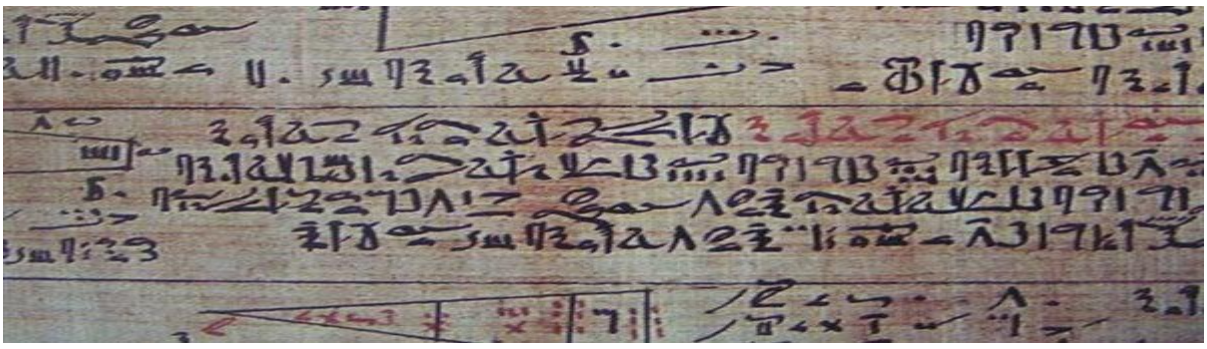

بردية ريند

[1] أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص364.

إن المباني الضخمة مثل الأهرامات كان يتطلب دقّة في القياس، كذلك تقسيم الأراضي وحساب الضرائب، قياس منسوب مياه النيل لتفادي الفيضانات، حساب الأيام، البيع والشراء، كل ذلك جعل المصريين القدماء يبذلون الجهود لتطوير هذا المجال استجابة لأغراض دنيوية وتلبية لمتطلبات المعتقدات دينية[1].

2.**التقويم وعلم الفلك**: تقدم المصـــريون في علم الفلك وارتبطت به حياتهم الدينية والدنيوية، حيث اعتمدوا أسلوب الملاحظة والاستنتاج، فكان في معبد عين شمس كاهن خاص مهمته مراقبة سير الشمس يسمى " الرائي العظيم"، كذلك مجموعة من الكهنة في كل معبد مهمتهم مراقبة ســـير النجوم، فعرفوا المجموعات النجمية وســـير الكواكب والقمر، إذ عُثر في مقابر الأسرة العشرين على قوائم نجوم بعضها خاص بالنصف الأول من الشهر، والآخر خاص بالنصف الثاني منه.

أما عن التقويم فقد قسم المصريون القدماء السنة إلى 365 يوم، وجعلوها 12 شهرا، كل شهر 30 يوما، وخمسة أيام تضاف في أخر كل عام تُسمى الشهر الصغير، أما الشهر فقُسم إلى ثلاثة أقسام كل قسم يشمل 10 أيام، والسنة إلى ثلاث فصول كل منها أربعة أشهر، وهي شهر الفيضان، الشتاء والصيف[2].

رأى الكهنة بأن علم الفلك من العلوم السرية الخفية، التي لا يجب الكشف عن أسرارها لعامة الشعب، وإنما يتم تدريسها للمتميزين من التلاميذ.

3.**الطب**: إن ممارسة المصريين للتحنيط جعل لهم القدرة على معرفة طبيعة الجسم وأسراره، حيث اهتموا بالتشريح الذي فتح أمامهم أبواب واسعة نحو تشخيص الأمراض ومحاولة ايجاد الأدوية المناسبة، فنشأ علم الطب بالتجارب والملاحظات ثم سرعان ما أصبح علما يُدرس ويُتوارث في عدد من العائلات.

---

[1] محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم _مصر_، ج1، الآداب والعلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 365.

[2] المرجع نفسه، 351- 355.

كان الطب يُلقن في البداية عن طريق تلقين الطبيب لابنه هذا العلم شـــفويا للاحتفاظ بسـرية المهنة، ولكي يتمكن الابن من مواصـلة مهنة والده من بعده، فكان بذلك هذا المجال حكرا على عائلات دون أخرى، ومع مرور الوقت أصـــبح الأطباء يُدونون كل معارفهم عن الأمراض وعلاجها على أوراق البردي لحفظها من الزوال، ثم أنشـــأ الكهنة مدارس لتعليم الطب والصـيدلة ملحقة بالمعابد الكبرى، أشـرف عليها رجال الدين المتخصـصـين في مجال الطب، وذلك لأن هذا المجال لم يقتصـر على تشـخيص الأمراض وإيجاد العلاج فقط وإنما اندمج مع المعتقدات الدينية بأن هناك قوى شـــريرة تحاول أن تؤذي الانســـان وأخرى خيّرة تعالجه وتحميه، كذلك اندمج مع الســـحر إذ كثيرا ما اســـتعان الأطباء بالتمائم والتعاويذ والأدعية السحرية لمعالجة المرضى أو لمرافقة العلاجات التي يُقرُّونها لعلاج المرضى.

لقد بلغ الطب في مصـر القديمة درجة من التطور لم تصـل إليها أمم قبلها أو متزامنة معها، حيث كان الاهتمام بإعداد المتخصـصـين في مجال الطب وتحضـير الدواء كبيرا، فقد ذكرت البرديات الكثير من الأمراض التي شـخّصـها الأطباء واسـتطاعوا علاجها بالعقاقير، الدهانات، الجراحة، الجبائر، الكي وحتى السحر والتعاويذ مثل بردية "إيبرس"، التي اشـتراها عالم المصـــريات الألماني جورج إيبرس في الأقصـــر في حوالي 1873–1874 م، وهي محفوظة حاليًا في ألمانيا، وبردية "إدوين سـميث" نسـبة للتاجر الذي اشـتراها سـنة 1862 م، والمحفوظة حاليا في متحف في نيويوك[1].

[1] للمزيد من المعلومات عن العلوم وخاصة الطب والصيدلة عند المصريين القدماء. انظر: أندريه إيمار – جانين أبوايه، تاريخ الحضارات العام، مج 1، الشرق واليونان القديمة، تر: فريد م. داغر، ط2،دار عويدات، بيروت، 1986. وانظر: أحمد محمد عوف، عبقرية الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999. وانظر: بول غلونجي، الطب عند قدماء المصريين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

بردية إيبرس

بردية إدوين سميث

المحاضرة الحادية عشر: الفنون في مصر الفرعونية

تميزت الحضـــارة المصـــرية بتنوع وضـــخامة المنتوج الفني، وقد ارتبط الفن بمختلف المجالات الحياتية لاســـيما الدينية منها، حيث أجمع المؤرخون أن البدايات الأولى للفن المصــري القديم تعود إلى العصــور الحجرية، مســتدلين في ذلك إلى المخلفات الأثرية التي أرجعها علماء الآثار لتلك الفترة الزمنية البعيدة.

أولا: نشأة وتطور الفن المصري القديم

1-نشأته:

إن جذور الفن المصري القديم تعود إلى العصور الحجرية التي أصبح فيها الانسان خبيرا بالمواد المتوفرة في بيئته وتســخيرها للتعبير عن مشــاعره وخيالاته وكل ما يحدث من حوله، وهو نتاج الاستقرار الذي تحقق للإنسان المصري القديم بعد ما أوقد النار واستأنس الحيوانات وتوصل إلى الزراعة، وهي إنجازات حققها قبل أن يخترع الكتابة.

وقد عُثر على عدد من المخلفات الأثرية التي تعود الى أواخر العصـــر الحجري القديم مثل الرسومات التي وُجدت على سطح الكتل الصخرية وداخل الكهوف، والتي تُصور الحيوانات مثل النعام، الغزلان، التماسيح والثعابين غيرها.

ومع بداية العصر الحجري الحديث كان الفنان في هذه الفترة يمارس حرفة التعدين، وتعرّف على أســرار صــناعة الخزف المزخرف، والفخار المزين باللون الأحمر و الأســود، كما برع في تشــكيل ونحت الأواني من الحجر، التماثيل الصــغيرة والأمشــاط، ومقابض الخناجر من العاج وبعض أدوات الزينة والتجميل، وجميعها كانت تُزين برسومات وأشكال هندسية وحيوانية، وفي تلك الفترة لم يُمارس التحنيط بعد بل كان الموتى يُدفنون في حفر بسيطة بصحبة مقتنياتهم التي يُعتقد أنهم كانوا في حاجة إليها بعد الموت، وتميزت تلك المقتنيات بالإتقان الفني والأشكال الواضحة، مما يدل على رغبة الفنان في إبراز الجانب الفني والجمالي لأغراض معينة دينية ودنيوية.

فنون العصور الحجرية في مصر

إن الفن المصـري القديم من بين الفنون التي ليس من السـهل على الدارس معرفة أصـولها الأولى، اذ أن له أصولا خاصة وتقاليد ومميزات لا نجدها في فن سواه، فهو يتميز بالبساطة والقوة في نفس الوقت، والفنان المصـــري القديم له في أعماله تقاليد خاصـــة تبرز النواحي التي يريد الإفصاح عنها والتعبير عن مدلولها، وقد مرت هذه الأساليب بمراحل كثيرة من التطور والازدهار.

2- تطوره:

عرف الفن المصـــري القديم كباقي الفنون القديمة تطورا عبر العصـــور التاريخية، موازاة مع التطورات الســياســية والاجتماعية والدينية التي واكبها المجتمع المصـــري، وقد تجلت الصـــفات المميزة لهذا الفن مع بداية عصر الأسرات، و تطورت على مر العصور التي مرت بها الحضارة المصـــرية القديمة، ويُؤكد الباحثون بأن لوحة الملك مينا الموجودة في المتحف المصـــري تعتبر نقطة البدء التي حددت الاتجاهات العامة للأسـلوب الفني المصـــري القديم، الذي ظهر مع بداية هذه الحضارة، وهي تمثل رمزا لانتصار هذا الملك على أعدائه، وتظهر فيها علامات هيروغليفية غير متقنة تشـير إلى اسـم الملك وتحصـي عدد المهزومين، وهذه اللوحة هي بمثابة إعلان عن

مولد هذه الحضارة والسلطة الملكية الجديدة بعد توحيد مصر، وكذا بداية لأسلوب جديد في الكتابة والتصوير.

وقد بدأ هذا الفن يكتسب خصائصه الذاتية ويتخصص بقواعده وقوانينه في العصر العتيق أو العصر الثيني، واستمر ذلك التطور الفني في عصر الدولة القديمة حيث ظهرت في هذه الفترة العمارة الضخمة والاهرامات وامتلأت القبور بالمقتنيات وذلك تزامنا مع ترسيخ وانتشار فكرة الخلود بعد الموت، لكن كل تلك المنجزات تمحورت حول الملك والأسرة المالكة، الحاشية والخدم، لذلك ظهرت تماثيل الأُوشابتي التي كانت تُعوض الخدم في الحياة الأخرى، كذلك زخرت القبور الملكية بالكنوز، الأثاث الفاخر، الألبسة، الحلي المزينة الأحجار الكريمة وغيرها من الأدوات التي عكست الطابع الفني الخاص بتلك الفترة.

تماثيل الأوشابتي .

بعد ركود وتراجع ساد فترة الانتقال الأولى ومع بداية عصر الدولة الوسطى عاد الاستقرار إلى البلاد، وبات للفنانين القدرة على التجديد و الابتكار، وتميز الفن في هذا العصر بالبساطة والواقعية كما ابتعد عن العظمة والفخامة التي سادت في عصر الدولة القديمة، غير أن آثار الدولة الوسطى المعمارية والفنية لم تسلم من تخريب الغزاة الهكسوس في عصر الانتقال الثاني، فدخلت بذلك في فترة تراجع أخرى مس كل الميادين لاسيما الفنية منها، رغم محاولة هؤلاء الغزاة تأسيس الأسرات وتبني الأساليب المعمارية والفنية والدينية القديمة.

بعد طرد الهكسوس بدأ عصر جديد كان بمثابة العصر الذهبي للحضارة المصرية القديمة وهو عصر الدولة الحديثة، هذه المرحلة عُرفت في بدايتها بالتمسك بالأسلوب الفني الذي ساد في عصر الدولة القديمة، ثم بدأت تتراجع هذه التقاليد الفنية وظهر أسلوب تميز بالرقة، الدقة والتحرر، أما في عصر الملك "أخناتون" فقد ظهرت نزعة فنية جديدة غرضها القضاء على التقاليد القديمة في الدين والفكر والفن، في حين ظهر خلال عصر الأسرتين التاسعة عشر والعشرين أوما يسمى بعصر الرعامسة، ظهرت التماثيل الضخمة التي زينت المعابد، واستمر الاهتمام بالعالم الآخر والخلود بتسخير كل الإمكانيات لذلك.

ثانيا: العوامل المؤثرة في الفن المصري القديم

أ-العوامل الدينية: كان لاعتقاد المصريين القدماء بأن الحياة تعود إلى الجسم بعد الموت أثر كبير على خصائص الفن المصري، حيث حرص على تحنيط جثث موتاه ودفنها في مقابر سُميت بالبيوت الخالدة، زُينت جدرانها بكتابات ونقوش وصور الآلهة والآهلات، وأخرى تمثل مناظر مختلفة للميت في وضعيات مختلفة اعتقادا منهم بأن المتوفى سيعيش من خلال تلك الصور وأنه سيستخدم تلك الكتابات والنقوش في العالم الآخر.

ب-العوامل الطبيعية: لقد كان تأثير البيئة المصرية واضحا على الفن المصري القديم، حيث حرص على أن تكون نماذجه الفنية مستقاة من مظاهر الطبيعة، فكانت أسقف المباني تشبه النخيل أو سيقان اللوتس، وظهرت زهرة اللوتس في الكثير من الزخارف على اعتبارها نبات مقدس، وقد وفرت البيئة الجغرافية لمصر للفنانين والمعماريين المواد الخام اللازمة، كما اكان لتنوع المناخ الأثر الواضح في الحفاظ على المنتوج الحضاري الفني لهذه الحضارة، ضف إلى ذلك توفر أنواع من الأحجار والأحجار الكريمة والمعادن المختلفة كالذهب والفضة.

ت-العوامل الاقتصادية: لقد مرت مصر بعصور رخاء وقوة وأيضا فترات اضمحلال وركود، وانعكس ذلك على جميع أنواع الفنون في هذه الفترات، كذلك كان للتدرج الهرمي واختلاف طبقات المجتمع من حيث الدخل والثروة الأثر الواضح على الطابع الفني الخاص بالمباني

الملكية، والذي اعتمد في عمومه على الفخامة والعظمة لإضفاء الهيبة، بينما اعتمدت المباني الخاصة بأفراد المجتمع على البساطة من حيث البناء والزخرفة.

ث-العوامل الاجتماعية: كان للتدرج الهرمي في المجتمع الأثر الواضـــح على تنوع الفنون واختلاف المباني الدينية والدنيوية، حيث كان الملك والعائلة الملكية يمثلون رأس الهرم، ثم الكهنة و كبار الموظفين يليهم عامة الشعب، وظهر هذا التدرج أيضا في نمط بناء المساكن وزخرفتها، وحتى المقابر ومقتنياتها.

ج-العوامل السياسة: كان للتغيرات السياسية أثر بالغ على الأوضاع الفنية في مصر، حيث تأثرت هذه الأخير بالاضــطرابات التي حدثت أثناء العصــور الانتقالية التي تميزت بالتراجع والركود، كذلك تغير الســلطة الســياســية مثل فترة حكم الملك أخناتون التي تميزت عن باقي الفترات الأخرى[1].

ثالثا: أنواع الفنون المصرية القديمة:

1-فن الرسم والتصوير: استخدم الرسم كوسيلة للتعبير الفني على سطح مادي كالخشب، الورق، القماش، الزجاج، الجدران، الأســطح الحجرية، الأرضــيات وغيرها، يعتبر فن الرســم المصــري من أقدم الفنون وأبرزها فهو البداية الحقيقية للعديد منها، ويمكن تعريف فن الرسم على أنه أقدم فن تدوين في مصــر فهو يعتبر الممهد للكتابة الهيروغليفية، التي اســتعمل فيها المدون مجموعة من الرسومات والصور البدائية.

اعتبر بعض المؤرخين على أن الرســم فرع من فروع فن التصــوير، وقد ارجعوا تاريخ ظهوره إلى العصــر الحجري القديم، أو قبله بقليل أين وجدت الرسومات الأولى على الأدوات

[1] للتفصيل أكثر في العوامل المؤثرة في الفن المصري القديم. انظر: محرم كمال، تاريخ الفن المصري القديم، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 4- 5 . وانظر: عبد العزيز سماحة، الفن المصري القديم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت. وانظر: كريسيان زيجلر- جان لول بوفو ، الفن المصري، تر: عادل الميري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

التي كان يستعملها الانسان المصري في حياته اليومية، كما دونت الرسومات بعدها على البردي والجدران واللوحات الجنائزية، وحتى على الأعمدة والمسلات والحلي وغيرها، ما جعل الرسم هو الفن الأسرع في التنفيذ إذا ما قورن بالنحت، وفي عصر الأسرة الثامنة عشر تم العثور على مجموعة كبيرة من البرديات التي اختلفت مضامينها وموضوعاتها، فكان عدد منها يحتوي على مناظر الحفلات النسائية ومناظر الرقص البهجة، الاحتفالات الدينية وغيرها، ويُعد هذا العصر أفضل العصور لدراسة فن الرسم بسبب عدد البرديات المرسومة والمدونة التي تم العثور عليها[1].

منظر لحفلة موسيقية

أما التصوير فهو فن توزيع الأصباغ والألوان السائلة على سطح مستوٍ، كالقماش، الجدار أو الورق بهدف إيجاد الإحساس بالمسافة والحركة، وقد استخدم التصوير في المعابد، وبلغ شأناً كبيرا من الدقة والإتقان مثل منظر سرب الإوز الملون بالألوان طبيعية الذي كشفت عنه مقبرة تعود لإحدى أميرات الأسرة الثالثة[2].

[1] محرم كمال، المرجع السابق، ص 133- 134.

[2] المرجع نفسه، ص 135.

لوحة إوز ميدوم.

وفي عهد الدولة الحديثة حل فن التصـــوير الجداري محل النقوش البارزة في زخرفة جدران المقابر نظرا لسهولة تنفيذها لتجسيد مواضيع مختلفة من حياة صاحب المقبرة، وأتقن الفنان تصوير مناظر الصيد، الولائم والأعياد[1].

2-فن النحت:

هو الفن ذو الأبعاد الثلاثة الطول- العرض-السمك، ويعد من الفنون الإنسانية الأكثر صمودا عبر العصور، والنحت أنواع:

أ.النحت البارز: ويكون النحت فيه على لوح من الحجر أو الخشب، ويتضمن التماثيل التي تعتبر إما جزء من المكان المثبتة عليه وإما منحوتة فيه بطريقة مباشـــرة، ويعتبر مرتفعا عن المساحة التي يمكن رؤية البروز عليها، وتتطلب هذه الطريقة إزالة مساحات كبيرة من أسطح اللوحة بإبراز الأشكال المطلوبة، ما يجعلها أكثر بروزا ووضوحا للناظر.

ب.النحت الغائر: وفيها يتم نحت الأشكال في عمق مستوي على سطح اللوحة الحائطية، وبذلك يصبح مستوى السطح أعلى من مستوى الأشكال المنحوتة الغائرة فيه، و كان النحات يقوم بنحت الشكل الغائر بطريقة تؤدي إلى إبراز مكوناته وتحديد معالمه.

[1] عبد الحليم نور الدين، الفن المصري القديم، أعمال الموسم الثقافي بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ص 10.

ت.نحت التماثيل : وهو النحت المســـتدير الذي يُمكِّن الناظر من الدوران حوله لرؤيته من جميع جوانبه كما هو في الواقع، ويعني نحت التماثيل الكاملة الشـكل، ومن أهم شـروط هذا الفن وجود كتلة مجسمة، وقد عرف فن النحت في عصر الدولة الحديثة تغيرا واضحا مقارنة بالعصور السابقة، حيث ظهرت تماثيل الملوك الضخمة عن الحجم الطبيعي، وأصبح الفنان المصري يهتم بكافة أعضاء الجسم، فتبدوا بوضوح تعابير الوجه وليونة في الخطوط العامة، كما تميزت تماثيل الملوك في هذه الفترة بخوذ حربية تعلوا رؤوسهم ممسكين بصولجانات، و ذلك تعبيرا عن الدور الذي قام به بعض ملوك الدولة الحديثة في توسيع حدودها، مثل تمثال الملك "تحتمس الثالث" المصنوع من الحجر والذي يُعتبر قطعة فنية متميزة لأنه تميز بالاتقان والدقة، وأبرز مقدرة الفنان في التعبير عن شبه ابتسامة هادئة تظهر على الوجه، إلا أن وجه الملك ينقصه طابع الهيبة والعظمة الذي عرف في تماثيل الدولة القديمة.

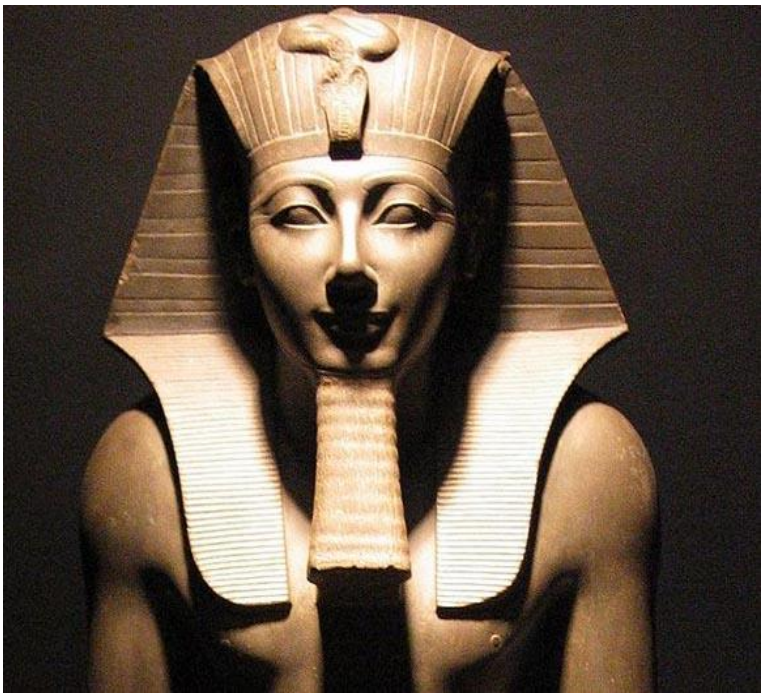

الملك"تحتمس الثالث"

ســـارت أســـاليب النحت جنبا إلى جنب مع تطور العمارة وعبرت عن التطورات الاجتماعية في هذا العصـــر، وكان على فن النحت أن يهتم بما ظهر من ثياب جديدة

كالثياب ذات الثنايا، والحلي وأغطية الرأس الكبيرة وغيرها، ومن ناحية أخرى تميزت تماثيل الأفراد بالتنوع في المواضـــيع مقارنة بالملكية التي تحكمت فيها التقاليد الدينية التي كان موجب التقيد بها، مثل تمثال سننموت وزير" الملكة حتشبسوت" وهو يحتضن إبنتها الأميرة "نفرورع" المصنوع من الغرانيت الأسود والمتواجد حاليا في المتحف البريطاني[1].

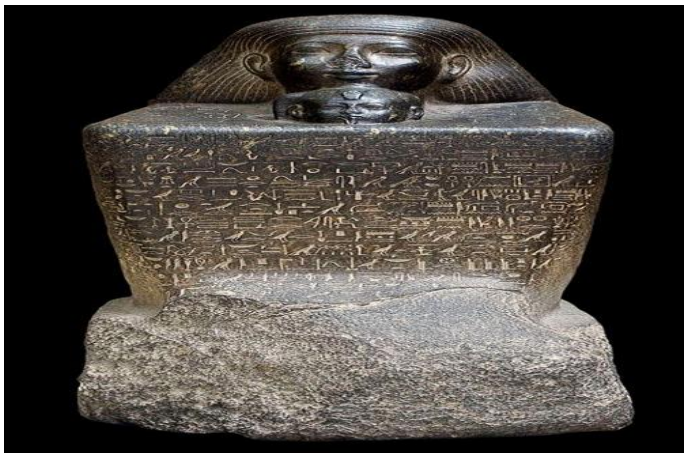

سنموت يحتضن الأميرة نفرورع.

2. مدارس الفن المصري القديم :

لم يكن تنوع الأساليب والتطور الذي شهده الفن المصري القديم محض صدفة، بل جاء نتيجة اختلاف وجهات النظر والتقاليد التي دعت لها كل مدرســـة على حدى، وقد ظهرت عبر العصور المصرية القديمة مجموعة من المدارس الفنية، وهي كالآتي:

أ.المدرسة المثالية: هي تلك التي المدرسة التي عبرت عن غير الواقع، وأظهرت أصحابها في أفضل صورة ممكنة دون النظر إلى ما كان لدى البعض منهم من عيوب خلقية أحيانا، وهي مدرسة اقتصرت على الأسرة المالكة والنبلاء.

ب.المدرســـة الواقعية: هي تلك التي عبرت عن واقع أصـــحابها بعيدا عن المثالية، وعبرت أحيانا عن واقع عصـــرها، وعادة ما اهتمت بالطبقات الدنيا من المجتمع، حيث أظهرتهم وهم

[1] للاستزادة. انظر: عبد الحليم نور الدين، الفن...، المرجع السابق. وانظر محرم كمال، المرجع السابق.

يؤدون أعمالهم، حتى ولو بعيوبهم الخلقية، دون التزام شديد بضوابط النسب بالنسبة للإنسان أو للوحدات المكونة للموضوع في النقش والرسم.

ت.المدرسة التي جمعت بين المثالية والواقعية: لقد برزت في بعض الفترات، وخصوصاً في عصر الدولة الوسطى وفي العصور المتأخرة، وعبّرت في تماثيل أصحابها من الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة عن شـــيء من المثالية الممزوجة بواقع تكوينهم الجســـدي، وكذلك واقع عصرهم.

ث.المدرسـة الأتونية: نسـبة إلى الحركة الدينية التي قام بها الملك أخناتون، ويُعرف فن هذه الفترة أيضـا بفن العمارنة وفن أخناتون، نسبة إلى مدينة العمارنة العاصمة الجديدة للبلاد في عهد هذا الملك، وقد ظهرت بوادر هذه المدرســـة الفنية قبل عهد أخناتون أي في عهد أبيه "أمنحتب الثالث"، واستمرت بعض السمات الفنية لهذا العهد حتى بعد

وفاة أخناتون في عهد من خلفه من ملوك الأسـرة الثامنة عشـرة، كما أن الجديد الذي جاءت به هذه المدرســة هو التحرر حيث ظهر أخناتون مع زوجته "نفرتيتي" وبناتهم في وضــعيات تُعبر عن الحب والألفة والترابط الأســـري، بل أن أخناتون ذهب لأبعد من ذلك حيث ظهر وهو يقبل إحدى بناته، وهذا ما لم يظهر لدى الملوك السابقين[1].

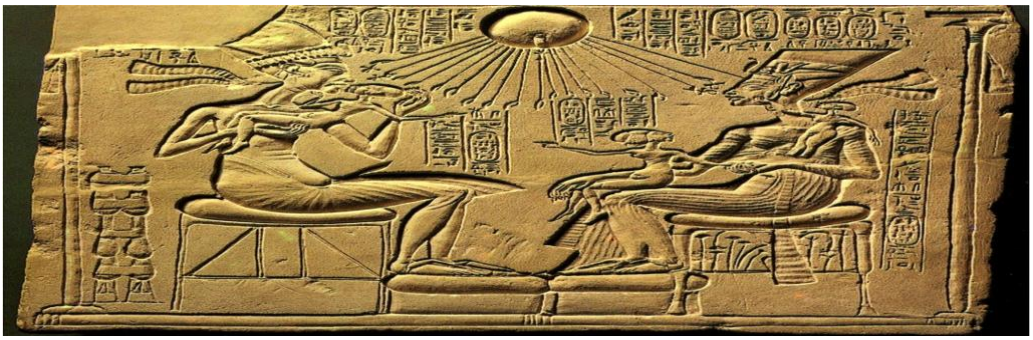

أخناتون في جلسة عائلية مع زوجته، ويقبل إحدى بناته تحت أشعة الشمس التي تمثل الإله "أتون".

[1] محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص 353. وانظر: عبد اللطيف سلمان، الفن المصري القديم – الفنون ومقوماتها وأسبابها–، مجلة الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، ص 44– 45.

الفنان المصري القديم:

اهتم المصـــريون القدماء بالجانب الجمالي في كل تفاصـــيل أعمالهم ومنجزاتهم ، فهي حسب اعتقادهم ما كان سيضمن لهم خلود الروح في عالم ما بعد الموت، وقد سُمّي الفنان في اللغة المصـــــرية القديمة " ســـــيعنخ"؛ أي الذي يُحيي أو الذي يُعيد الحياة، وهو بمثابة الانسان الخالق الذي يبدع بالعقل البشري في نحت ورسم البشر والأشياء ليؤهلها لحياة أبدية، مثلما فعل الإله الخالق عندما خلق الكون والانســـــان، ولكن باعتبار الفنان خالقا في نطاق الحياة الدنيا فهو دائما يبقى مجهول الهوية، ولم يظهر في تلك الآثار التي أنجزها وقام بتصـــميمها، فكان الفنان المصـــري بذلك أداة من أدوات الديانة والعبادة، كونه كان على دراية باللغة المصـــــرية القديمة، الكتابة، الأدعية والتراتيل، إضـــــافة إلى معرفته بمراســـيم الطقوس وتنظيم المواكب والاحتفالات في مختلف المناســـــبات الدينية والملكية، وكذا معرفته الفنية والابداعية في تحويل كل تلك المعارف إلى مشـــــاهد، زخارف وتماثيل تعبر عن طموح الفكر المصري القديم إلى الخلود ورغبته في الوصول إلى المثالية.

وقد التزم الفنان المصري القديم بمجموعة من القواعد والمبادئ الفنية الصارمة، والسمة الغالبة في هذا الفن هي الهدوء والاســتقرار وعدم الاســراف في الزخرفة والميل إلى البســاطة، ومن بين القواعد التي التزم بها أيضــا هي إبراز الشــخصــيات المهمة في المنظر بحجم كبير يفوق كل الشـــــخصـــــيات الأخرى، ومحاولة إظهارها بالشـــــارات التي تدل على مكانتها الاجتماعية، وكان الملوك والآلهة يظهرون في أحجام تفوق غيرهم.

المحاضرة الثانية عشر: العمارة في مصر الفرعونية

إن العمارة هي المرآة التي تعكس مستوى تطور الفكر الديني والدنيوي لأي مجتمع، وهي تعبير عن امكانياته الاقتصادية وخبرته البشرية، ولقد تأثرت العمارة بالمناخ السائد في البيئة والتضاريس الموجودة فيها، أما في مصر فقد تحكمت تلك العوامل مجتمعة في الطابع المعماري إضافة إلى العقيدة الدينية التي كان لها تأثير كبير على هذا الجانب، فإيمان المصري القديم بحياة ما بعد الموت والخلود جعله يُشيِّد منشآت حياته الأولى المؤقتة من مواد لا تقاوم عوامل الزمن لأنه سيعيش فيها لفترة مؤقتة وهي الطوب واللبن، لذلك فإن ما تبقى من منشآت دنيوية قليل جدا إذا ما قورن بالمنشآت الدينية (المعابد والمقابر وغيرها) ، وقد جاء تخطيط المنشآت الدنيوية (المساكن، المنشآت الإدارية والعسكرية) معبرا عن دورها الوظيفي الذي أُنشئت من أجله، وكذا عن الوضع الاقتصادي من حيث الازدهار أو الانحطاط، أما تخطيط المنشآت الدينية التي شُيّدت من الحجر لتكون لها صفة الدوام فقد جاء معبرا بوضوح عن الدور الوظيفي الديني للمنشأة، من حيث عدد وحجم المناظر والنصوص المطلوب تسجيلها، ومن حيث كم ونوع الطقوس التي تمارس فيها، وبمعنى آخر كان معبرا عن فكر ديني راسخ، وعن معتقدات وطقوس وشعائر مخصصة للآلهة أو للملوك بصفتهم ممثلي هذه الآلهة على الأرض .

أولا: المعابد والمقاصير

آمن الانسان المصري القديم بأنه سيعيش لفترة مؤقتة ثم يموت لفترة مؤقتة، ثم يُبعث من جديد لحياة خالدة، كما آمن بوجود قوى تحرك الكون وتسيِّر كل ما فيه من موجودات، وهذه القوى التي لم يستطع أن يدرك ماهيتها أو يحدد مكانها هي التي تحقق له الخير وتحميه من الشر، لذلك كان لابد له أن يتقرب إليها ويختار لها رموزا تكون بمثابة حلقة الوصل بينها وبينه، وكان لابد له لكي يحقق ذلك أن تكون هناك بيوت لهذه الآلهة توضع

فيها رموزها، وتُجرى لها فيها طقوس العبادة ويحتفل فيها بأعيادها، ومن هنا جاءت فكرة بناء المعبد.

كانت المعابد من أهم ركائز الديانة والعبادة، فلم يكن باستطاعة المصريين القدماء أن يتصوروا إلها من غير "بيت" يُعبد فيه، وتقام فيه الشعائر والأعياد الخاصة به وتُلحق به مخازنه لإدارة أملاكه، وكان المعبد يُسمى "برنثر" أي بيت الإله، في عصور ما قبل التاريخ ظهرت ملامح لأماكن مخصصة لعبادة الآلهة على شكل أكواخ بسيطة من أغصان الأشجار المدعمة بالطين، غير أنها اندثرت بسبب المواد سريعة التلف التي بُنيت بها، ومع بداية عصر الأسرات أصبحت المعابد تُبنى بالحجر كما ازداد حجمها وعدد الهياكل التابعة لها، وقد تطورت هذه الهياكل مع تطور هذه الحضارة لتصبح أكثر قوة وصلابة، خاصة في عصر الأسرة الرابعة أين أصبح يُعتمد على الأحجار في بنائها، واستمر تطور المعابد خلال عصر الدولة الوسطى والحديثة لتصبح ضخمة وتتسم بالفخامة والدقة في التصميم.

تطور بناء المعابد بتطور العمارة، وكما كان للآلهة معابد، حرص عدد من ملوك مصر على تشييد المعابد الجنائزية ليُعبدوا فيها، وكان الملك يُعد إلها بعد وفاته، بل منهم من أُله في حياته، لهذا لا غرابة في أن كانت المعابد الجنائزية تشبه في تخطيطها وهندستها معابد الآلهة، ومن أهم تلك المعابد معبد الملكة "حتشبسوت"، معبد "سيتي الأول"، معبد "نيفرتاري"، "رمسيس الثاني" و"رمسيس الثالث".

وكانت المعابد مجالا يُسجل الملك على جدرانه أخبار حملاته وغنائمه ومنجزاته تمجيدا لشخصه واعترافا بفضل الآلهة عليه، وكذلك كان يتم فيها تتويج الملوك و فيها تسجل الأساطير المختلفة مثل أساطير الخلق والولادة الإلهية، وتنقسم المعابد إلى معابد دينية أو طقسية ومعابد جنائزية.

1.معابد الآلهة أو المعابد الطقسية:

هي المعابد التي خصصها الملوك لعبادة آلهتهم الرئيسية، ومنهم من خصصها لعبادته في حياته إلى جانب إلهه الرئيســـي، وقد كانت تُقام في هذه المعابد الطقوس اليومية للملك وللمعبود، وعادة ما كان يُدون على جدرانها تواريخ الملك منذ توليه الحكم حتى وفاته، كما دُوِّنت فيها إنجازاته وصوره مع الآلهة التي أقيم من أجلها المعبد، ومنها "معبد حتحور"، الذي بُني في عصـر الأسـرة السـادسـة وتطوّر بناؤه عبر العصـور وتميز بفن معماري فريد وغني بالمناظر والنقوش، وتغطي الجدران والأعمدة تماثيل محفورة بالغة الدقة والجمال، واســـتمر تجديد المعبد في العهد البطلمي والروماني وأصـبح من أكبر الصـروح الدينية في مصـر التي حرص الملوك على تدوين اسمائهم ومنجزاتهم على جدرانها.

معبد "حتحور" في دندرة

2. المعابد الجنائزية:

ويُقصـد بها المعابد المتصـلة بالمقابر والأهرامات والتي خُصـصـت لعبادة الملوك بعد وفاتهم، وقد بُنيت بغرض إقامة الشـــعائر الجنائزية اليومية، تقديم القرابين وإقامة الحفلات الجنائزية، وقد جاءت المعابد الجنائزية الخاصـــة بملوك الدولة القديمة محاذية للأهرامات، بينما في عصر الدولة الوسطى فقد كانت عبارة عن مقاصير تجاور القبور التي كانت تنقش في الصـخر، في حين أصـبح المعبد الجنائزي في عصـر الدولة الحديثة منفصـلا عن القبر،

واتخذ شكلا معماريا جعل من الصعب التفريق بينه وبين المعبد الطقسي، ومن أشهر المعابد التي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا معبد الملكة "حتشـــبســـوت"، وهو أحد أهم المعالم المعمارية التي خلفها المصـريون القدماء، والذي يعكس درجة الإتقان والابداع في الفن والبناء والتصميم الهندسي.

المعبد الجنزي للملكة "حتشبسوت" في الأقصر.

3.المقاصير:

المقصـورة هي معبد صـغير شُيِّد لعبادة الآلهة وأشـهرها المقصـورة الحمراء التي شيدتها الملكة "حتشـبسـوت"، وتقع هذه المقصـورة في الكرنك، وتلك المقصـورة كانت مكانا لاسـتراحة الموكب الاحتفالي للإله "آمون"، وقد سُميت بالحمراء نسبة إلى الحجر الذي شُيِّدت به، وهو حجر الكوارتز الوردي، الذي يميل أحيانا إلى الأحمر الطوبي، وهو حجر صـلب كان يُجلب من منطقة الجبل الأحمر شرق مصر.

المقصورة الحمراء.

ثانيا: المسلات

تعتبر المسلة علامة بارزة من علامات الحضارة المصرية، وقد عُرفت في النصوص القديمة باسم "نخن"، وهي عنصر معماري ذو أربعة أضلاع تنتهي بقمة هرمية تقوم على قاعدة يسجل عليها نص، وتُنقش جوانب المسلة الأربعة بمناظر ونصوص تتعلق بالحاكم وبالإله الذي كرست له المسلة، وقد أراد المصري القديم أن يحقق بالمسلة مجموعة من الأهداف، منها أنها عنصر جمالي يقع على يمين ويسار مدخل المعبد، كما أنها نصب تذكاري يخلد ذكرى صاحبه وعلاقته بالإله المعبود، غير أنها إلى جانب ذلك لها دلالة دينية واضحة، فهي أحد الرموز البدائية المقدسة التي بدأ الناس يقيمونها للإله "رع" في فترة ماقبل الأسرات على شكل عمود بسيط يربط بينهم وبين الإله، أي كأنها رابط بين السماء والأرض، ثم تطور هذا الشكل ليتخذ شكل الجسم ذي الأضلاع الأربعة، والذي ينتهي بقمة هرمية تعرف باسم "بن بن"، الذي يعتبر حسب الأساطير الدينية هو نفسه التل الذي خلقة الإله الخالق ليقف عليه عند خروجه من المياه الأزلية، وكل ذلك لإضفاء صفة القدسية في بناء هذا النصب المعماري.

حجر الـ"بن بن".

كانت المسلة تُنحت من الحجر وخصوصا حجر الجرانيت أوالبازلت، وكانت قمم بعض المســـلات الملكية تُصـــفّح برقائق من الذهب، النحاس، البرونز، الإلكتروم وهو خليط من الذهب والفضة.

مسلة الملكة "حتشبسوت" بالدير البحري.

ثالثا: الأهرامات

جاءت فكرة بناء المقابر على الشكل الهرمي نتيجة لاعتقاد المصـريين القدماء وايمانهم بعقيدة الشمس، ورأوا في القمة الهرمية التي تشبه أشعة الشمس تجسيدا لتلك العقيدة، إضافة إلى رغبة ملوك الدولة القديمة في الوصـــول إلى الســـماء بعد وفاتهم ومن ثم الالتحاق بإله الشمس "رع" في العالم الآخر.

أما عن تســـمية هذه المقابر بالأهرامات فهي بالانجليزية Pyramid، والتي تعود في الأصـل إلى الكلمة اليونانية Pyramodos، وتعني "قطعة الخبز المثلثة" وهو تشـبيه أطلقه اليونانيون بعد زيارتهم لمصر على الشكل الهرمي والهرم أيضا يُقصد به الشكل الهندسي ذو الأضلاع الأربعة، والتي تلتقي في نقطة مركزية عند القمة.

لقد تقدم فن تشييد المقابر في عصر الدولة القديمة، ومن الواضـح أن هذا التطور كان على مراحل، فقد كان الهرم المدرج للملك "زوسر" تطورا للمصـطبة، وكان يعلو مجموعة من الردهات والممرات التي شُـــيِّدت تحت الأرض، ولكن ومع بداية الأســـرة الرابعة ظهرت الأهرامات على شـــكل مجموعات هرمية في الجيزة، أي الهرم والمعبد الطقســـي والجنزي، أهرمـات الملكـات، قبور الأمراء والأميرات والخـدم، والأهرامـات من أبرز مـاميز العمـارة الجنائزية في مصر خاصة والعالم القديم عامة، لضخامتها ودقة تصميمها، حيث مازالت إلى يومنا هذا محل بحث ودراســـة بصـــفتها عمارة متطورة مقارنة بالفترة التاريخية للحضـــارة المصرية القديمة.

أهرامات الجيزة

المحاضرة الثالثة عشر: الاقتصاد في مصر الفرعونية

الزراعة

ترتبط الحياة الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالزراعة ومنتجاتها، الثروة الحيوانية، الصناعات والحرف المختلفة والتجارة، وكانت الزراعة العامل الأساسي الذي ساعد على استقرار وارتباط الانسان المصري القديم بالأرض، ويُعد اكتشاف طرق الزراعة أولى مراحل التعمير والتطور الاقتصادي، ويدل على مدى نجاح الانسان المصري القديم في استثمار واستغلال الموارد الطبيعية الموجودة في الطبيعة.

أولا: ظهور وتطور الزراعة

تعتبر الزراعة عصب الحياة الاقتصادية ومحرك الحياة الرئيسي في مصر القديمة، والذي باستقراره استقرت كل جوانب الحياة الأخرى، وانعكس ذلك على مظاهر الحياة الدينية، السياسية والاجتماعية.

ففي العصور القديمة سكنت أرض مصر تجمعات سكانية صغيرة منذ العصور المبكرة، وهي عصور الجمع، الالتقاط والصيد والتي كان يسعى الانسان فيها لسد حاجياته الأساسية المتصلة بغذائه وبقائه، وقد تجمعت هذه الجماعات في قرى ازداد عددها منذ أن توصل الانسان إلى معرفة الزراعة وما ترتب عنها من استقرار، وكان لانتشار زراعة الحبوب على نطاق واسع أن حدثت أهم خطوة وهي التحول من مرحلة جمع الطعام إلى إنتاجه وتخزينه، ولم تلبث طبيعة الحياة والمصلحة المشتركة أن خطت بالمصريين خطوة أكبر فنقلتهم من حياة القرية إلى حياة الاقليم ثم الوحدة السياسية والجغرافية لكامل مصر[1].

[1] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 81. وانظر: سيريل ألدريد، الحضارة المصرية القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر: مختار السويفي، القاهرة، 1996، ص ص 43 – 46.

اعتمد المصـريون القدماء في بداية الأمر على فيضـان النيل والأمطار، وكان الانتاج وفيرا في حال الفيضـان السـنوي لهذا النهر، أما في حال تأخرت هذه العملية بسـبب نقص الامطار فإن تلك الأراضـي كانت تتعرض للجفاف والقحط، وبالتالي تتعرض المنطقة للمجاعة. ولمواجهة تلك الكوارث قام المصـريون القدماء بتكثيف الجهود لشـق القنوات وبناء السدود والخزانات لنقل المياه وسقي الأراضي طيلة أيام السنة تقريبا، كذلك لاستيعاب المياه الناتجة عن الفياضـان والتخفيف من الكوارث التي يسـببها من تدمير للمنازل واتلاف للمحاصيل والمزروعات[1].

ثانيا: أدوات الزراعة

لمواجهة تحديات الطبيعة والكوارث ولتطوير مجال الزراعة اعتمد الانسـان المصـري القديم على مجموعة من الأدوات مثل:

الشـادوف: وهو عمود طويل يرتكز على محور مرتفع ويسـتخدم لخفض ورفع دلو يمتلئ بالماء من النهر لمنع انسـداد مياهه لمواجهة الترسـبات والغرين الذي يتجمع في القنوات ويتسبب في سدها.

الشادوف

[1] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 84 – 85. وانظر: ت. جيمز، الحياة أيام الفراعنة، مشاهد من الحياة في مصر القديمة، تر: أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 83.

المجرفة: اســـتخدمت المجرفة في تفتيت وتكســـير الكتل الكبيرة من الحجارة الموجودة في الأرض، وأيضًـــا اســـتخدموها في رعاية المحاصـــيل، وقد كانت هذه الأداة تأتي بمقبض من الخشب وشفرة مربوطة مع المقبض ببعضها البعض بحبل.

المنجل: يأتي المنجل بمقبض قصير وشفرة مصنوعة من الخشب ومدببة على شكل هلال كانت تستخدم لحصاد المحاصيل.

المحراث: تم اختراع المحراث الذي يجره الثور بهدف تحســـين عملية الزراعة والري عند المصـــريين القدامى، حيث كان هناك نوعين من المحراث الذي يجره الثور، إذ تم تصـــميم الأول وهو المحراث الثقيل الذي يبدأ بعملية الحرث والقطع، من ثم يتبعه المحراث الآخر الذي يعمل على قلب الأرض فقط، أما المحراث اليدوي فكان مصنوعا من الخشب والبرونز، ويحتوي على مقبض خشبي طويل مع نصلتين خشبيتين في الأسفل.

المحراث

شوكة الأرض: استخدمت شوكة الأرض المصنوعة من الخشب قديمًا في عملية فصل كل من القشرة والحبوب للمنتجات الزراعية عن بعضهما البعض.

المنخل (المصفاة): استعملت المناخل المصنوعة من القصب وأوراق النخيل لفصل قطع القشر الكبيرة عن الحبوب وتصفيتها[1].

[1] للمزيد من المعلومات حول أدوات الزراعة في مصر القديمة. انظر: رشا فاروق السيد، أضواء على الزراعة وتاريخها في العصر الفرعوني، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد 70، العدد 102.

ثالثا:ملكية الأراضي

وقد كان الفلاح المصري يستطيع العمل في أرض أخرى مقابل جزء من المحصول، ورغم أن الملك كان يعتبر نفسه خليفة الآلهة على الأرض وأن كل أرض مصر هي ملك له، إلا أنه كان من حق بعض الأفراد امتلاك الأراضي وتأجيرها وتوريث سند ملكيتها لأولادهم وأحفادهم.

استطاع الباحثون تمييز أربعة أوجه لحيازة الأراضي هي:

1. أراضي التاج: هي مساحات من الأراضي الزراعية كانت تُزرع لصالح الدولة بشكل مباشر، ويقوم الموظفون في المقاطعات بالإشراف عليها، كانت الدولة تمولها بالبذور وأدوات الحراثة وغيرها، كما كانت الدولة تستخدم العبيد في الأعمال الزراعية المختلفة، وكذلك الفلاحين الأجراء مقابل أجور عينية، أو مقابل قطع صغيرة من الأراضي لاستغلالها مع احتفاظ الدولة بحق الملكية، وكان هذا النوع من الأراضي يتقلص أثناء فترات الضعف بسبب ضعف السلطة المركزية.
2. أراضي الاقطاع: هي مساحات من الأراضي كانت تُمنح للأفراد بغرض اسغلالها مقابل دفع ضرائب للدولة، وفي هذه الحالة تتنازل الدولة عن حق الانتفاع لصالح هؤلاء الأفراد دون التنازل عن حق الملكية. وهي قسمين:

أ. الضياع الكبيرة: وتمنح للأمراء وكبار الموظفين وكبار قواد الجيش وكهدايا وكان هؤلاء يؤجرونها للمزارعين الصغار، وكان هذا النوع يزداد في فترة قوة الدولة.

ب. الاقتطاعات الصغيرة: مساحات صغيرة كانت تُمنح للمزاعين بغرض الانتفاع وتكثر في عصور الضعف.

3. أراضي المعابد: هي مساحات من الأراضي كانت تمنحها الدولة للكهنة بهدف اسغلالها لصالح المعابد لتسيير شؤونها، وهي معفاة من الضرائب ولكن في فترة

الأزمات تقوم الدولة بمصادرتها من جديد، وتترك ما يلزم لتدبير شؤون المعبد فقط، وهذه الأراضي هي عبارة عن منح من الدولة ومن الأفراد.

4. المزارع الخاصة: هي مساحات من الأراضي يمتلكها الأفراد ولهم فيها حق الامتلاك، البيع والتوريث، قد أثبت الشواهد الأثرية المتمثلة في عقود ملكية الأراضي وجود هذا النوع خلال العصور المختلفة لتاريخ مصر الفرعونية .وفي فترات ضعف الدولة كانت يزداد هذا النوع بصفة واضحة خاصة إذا ازداد نفوذ حكام الأقاليم والأثرياء مقارنة بسلطة الملك.

رابعا: المحاصيل الزراعية

اهتم المصريون القدماء بالأرض وقدسوها باعتبارها النشاط الرئيسي في حياتهم ما بعد الموت، وهو الشيء الذي عكسته تلك المشاهد التي صُورت داخل المقابر، ويعتبر القمح من أقدم المحاصيل الزراعية في مصر، وقد مُثلت زراعته أيضا على جدران القبور بصورة مفصلة تصور لنا عمليات الحرث، البذر، الحصاد، التذرية، الدراس، الكيل والتخزين...الخ، وذلك بإشراف رؤساء وكبار الملاك. وأقاموا له أعيادا في موسم الحصاد "عيد شم النسيم" الذي يعبر عن فرحة المصريين بهذا الحدث، وقد اعتادوا على صنع دمية على شكل حزمة من السنابل الأولى للمحصول ووضع إناء من الماء بجانبها لتقديمها كقربان للآلهة، كما ساد الاعتقاد بأن الآلهة "إيزة" هي التي اكتشفته في البراري وصنعت منه خبزا.

كذلك اعتبر الشعير من هم المنتجات التي صنعت منه النبيذ وأهم ما قُدم للآلهة، ومحاصيل أخرى مثل: الفول، العدس، الكتان، البردي، العنب، الجميز، وأنواع من الخضر والفواكه[1].

[1] وليم نظير، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970، ص ص 73 – 79

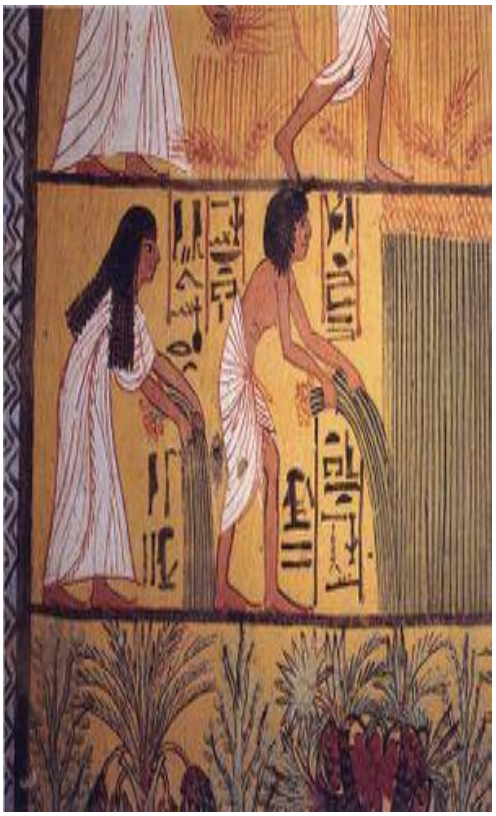

مشاهد ومجسمات تمثل النشاط الزراعي في مصر الفرعونية

المحاضرة الرابعة عشر: الصناعة في مصر الفرعونية

قامت الصناعة بدور هام في الاقتصاد المصري في العصور القديمة، وهو نتيجة لتفاعل الانسان المصري القديم مع بيئته، فلقد تمكن من معرفة طبيعة المواد المتوافرة في بيئته وخصائصها ومميزاتها، ومن ثم فقد تمكن من استخدامها أفضل استخدام في العديد من الصناعات، وتدل الأدلة الأثرية على التطور المستمر الذي كان يُدخله الصانع المصري على صناعاته باستمرار، مما حقق له تفوقا واضحا في عدد منها، تفوق فيها ونقلها إلى عدد من شعوب العالم.

أولا: الصانع المصري القديم

حظي الصناع في مصر القديمة برعاية الدولة ماديا ومعنويا، مما أدى إلى تطور هذا المجال وخاصة الصناعات الدقيقة التي وصلت إلى درجة كبيرة من الدقة والمهارة الفنية، وكان الصانع غالبا ما يرث حرفته عن أبيه وأجداده ويُورثها بدوره لأبنائه، مما أدى إلى توارث العديد من الأسر لصناعات معينة والتي تفوقت فيها وحافظت على أسراره[1].

ثانيا: أنواع الصناعات

1. **الصناعات المعدنية:** توافرت في مصر أنواع مختلفة من المعادن، وقد تعرف الانسان المصري القديم عليها وعلى أماكن تواجدها منذ أقدم العصور، وكيفية الحصول عليها واستخدامها، ومن أهمها: النحاس، الحديد، الذهب، الفضة وغيرها، كما تم خلط النحاس مع القصدير خلال عصر الجولة الوسطى للحصول على معدن البرونز، واستخدمت هذه

[1] ت. ج جيمز، المرجع السابق، ص 147.

المعـادن فـي الصـناعات المختلفـة: أدوات الزراعـة، الأدوات المنزليـة، الحلـي، الأسلحة ... إلخ.

2. **الصـناعات الخشـبية:** رغـم وجـود نقـص فـي تـوفر الأخشـاب الجيـدة، إلا أن النجـاريين المصـريين وصـناع الأثـاث تمكّنـوا مـن اسـتغلال الأخشـاب المحـلـيـة المتاحـة أفضـل اسـتغلال، إضـافة إلـى اسـتيراد أنـواع جيـدة مـن الأخشـاب من العديد من المناطق المجاورة.

ومـن أهـم الأشـجار التـي وُجـدت فـي مصـر: أشـجار الجميـز، الصفصـاف، السـرو، النخيـل، الصـنوبر....إلخ، وأهـم المـواد المصـنعة: الأثـاث، السـفن، أسـقف المنازل وأبوابها، التماثيل، الأدوات المنزلية، مقابض السكاكين، التوابيت وغيرها.

أثاث ملكي

3. **الصناعة النسيجية:** عرف المصري القديم صناعة غزل ونسج الكتان منذ العصر الحجري الحديث، وتطورت حتى بلغت درجة كبيرة من الاتقان، وبقيت أهميتها خلال كل عصور الحضارة الفرعونية.

مـرت هـذه الصـناعة بمراحـل متعـددة لتحويـل الكتـان مـن نبـات إلـى مـادة مصـنعة، اسـتخدم فـي صـناعة الملابـس والأشـرعة، لفافـات المومياوات إلـخ، كمـا استخدم الصـوف لصـناعة الألبسـة الصـوفية ولكـن لـم تكـن هـده الصـناعة واسـعة بـل ضـيقة النطـاق بسـبب منـاخ مصـر الـذي لا يحتـاج فيهـا السـكان إلـى الملابـس الصـوفية إلا فـي منـاطق محـدودة وفـي مواسـم معينـة، أمـا الصـناعات القطنيـة فيـذكر هيـرودوت أنها ظهرت خلال العصر المتأخر.

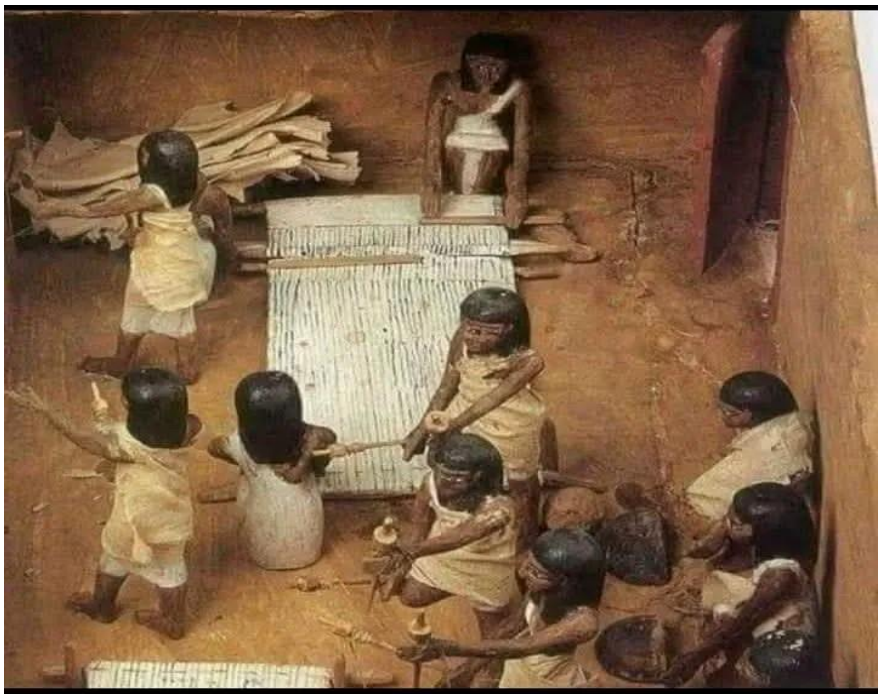

معمل لصناعة النسيج

4. **الصناعة الفخارية:** ظهرت الصناعات الفخارية خلال العصور الحجرية وظل استخدامها خلال عصور طويلة، وقد ساعد استمرار وانتشار هذه الصناعة هو سهولتها وتوفر المادة الأولية وهي الصلصال، الذي صنعت منه الجرار والأواني المزخرفة والملونة، واستعملت لأغراض دينية وجنائزية.

معمل لصناعة الفخار

- كما انتشرت الصناعات التي قامت على نبات البردي، الذي صُنعت من سيقانه القوارب، الحصير، الحبال و أشهر صناعة وهي لفائف البردي.
- إضافة إلى الصناعة الجلدية، الحجرية، صناعة الزجاج، الحلي، صناعة الخبز وغيرها[1].

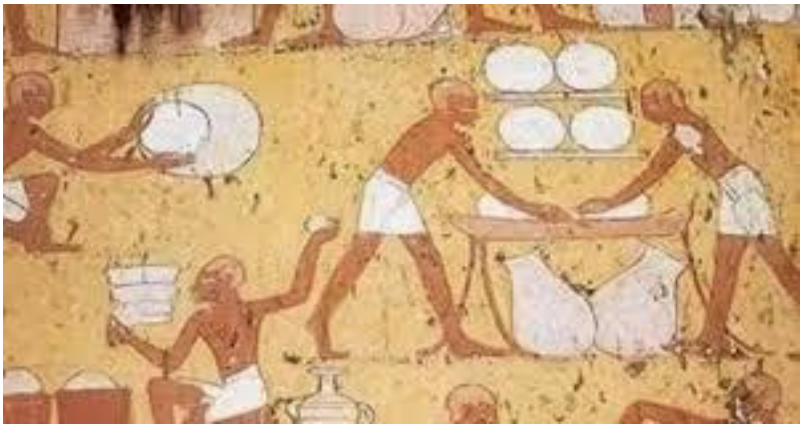

صناعة الخبز

[1] لمزيد من المعلومات عن الصناعات في مصر القديمة. انظر: بيير مونتيه، المرجع السابق. وانظر: ألفريد لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، تر: زكي إسكندر، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991. وانظر: أحمد فخري، المرجع السابق.

المحاضرة الخامسة عشر: التجارة في مصر الفرعونية

تمثل التجارة قطاعا هاما في الاقتصـــاد عبر العصـــور، وقد كان لموقع مصـــر الأثر الواضـح في أن تحتل مكانة هامة في هذا المجال، ففي عصـر الأسـرات كانت تربط مصـر علاقات تجارية مع دول الجوار ودول أخرى بحكم إشـــرافها على البحر المتوســـط والبحر الأحمر وتوســـطها للعالم القديم، وقبل التطرق للنشـــاط التجاري يتوجب علينا التعرف على وسائل النقل في مصر القديمة[1].

أولا: وسائل النقل في مصر القديمة

مثّل نهر النيل وروافده الشـريان الرئيسـي للمواصـلات داخل مصـر من أقصـى جنوبها إلى أقصـــى شـــمالها إلى ســـاحل البحر الأبيض المتوســـط، كانت أقدم الســـفن المســـتخدمة مصـنوعة من سـيقان البردي بدون أشـرعة، ثم ظهرت السـفن المصـنوعة من الخشـب، وفي عصـر الدولة القديمة ظهرت السفن الشراعية الطويلة المسطّحة، وكانت تُعتبر أفضل وأسرع السـفن في ذلك العصـر، وكان يسـتخدمها الأشـراف في رحلاتهم، وكانت تُصـنع من خشـب الأرز المستورد، أما سفن النقل فكانت جوانبها مرتفعة لتسمح بشحن أكبر كميات ممكنة، كما اسـتخدمت السـفن في البحر لنقل المسـافرين وجلب البضـائع مثل الأخشـاب من الشـام، ولقد صُوِّرت هذه السفن على جدران عدد من المعابد.

مجسم لسفينة بدون شراع

[1] شافية شارن، المرجع السابق، ص 42.

استخدم المصريون القدماء الحمير لنقل البضائع والسلع، كما استخدمت العجلات التي تجرها الثيران في أعمال المناجم والمحاجر.

ثانيا: النشاط التجاري الداخلي

قدمت الشواهد الأثرية منذ عصر الدولة القديمة صور للأسواق المصرية التي كانت تتم فيها المبادلات التجارية المختلفة عن طريق المقايضـــة، وإذا كانت الســـلع ذات قيمة فإنه كان يُســـتخدم معيار قيمي يمثل وزنا معينا من المعدن الثمين (الذهب مثلا)، وأطلق على هذا المعيار خلال عصـر الدولة القديمة اسـم "شـعث"، وفي عصـر الدولة الحديثة أصـبح يطلق عليه اسم "الكيت"[1].

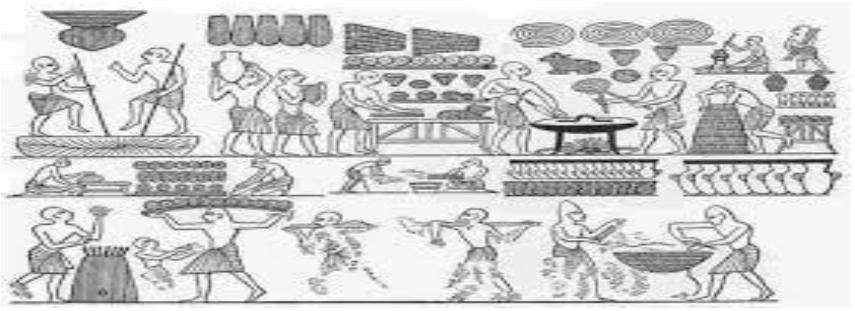

منظر للسوق في مصر القديمة

ثالثا: النشاط التجاري الخارجي

كان النشـاط التجاري الخارجي أكثر ازدهارا من النشـاط التجاري الداخلي، حيث كانت تربط مصـــر علاقات بالبلدان المحيطة بها قائمة الســـلام والتبادل التجاري مالم تهدد تلك البلدان أمنها واستقرارها.

[1] عبد الفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم – الجغرافية التاريخية– منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص 309.

الواردات:

- كانت مصر ترتبط بعلاقات مع دول الجوار لاسيما منطقة الشام التي كانت تربطها بها علاقات منذ عصور ما قبل الأسرات، واستمرت هذه العلاقات خلال العصور التاريخية المختلفة، وقد كانت مصر تستورد منها الأخشاب مثل خشب الأرز بعض الآلات الموسيقية، أنواع من الأسلحة، الأواني والأوعية وخاصة جرار الزيت والنبيذ، البخزر، النبيذ، الماشية الحرير الملون الأرجواني وغيرها.
- اما جزر البحر الأبض المتوسط وعلى رأسها جزيرة كريت فالعلاقات بينها وبين مصر تعود كذلك إلى عصور ما قبل الأسرات بفضل انفتاح منطقة الدالتا على الخارج، ويقيت هذه العلاقات ماثلة حتى دخول الاغريق إلى مصر في نهاية عصر الأسرات، كان النشاط التجاري مع كريت مبنيا على استيراد أنواع من الأواني المزينة ذات المقابض المصنوعة من الذهب والفضة، ومصنوعات متنوعة أخرى.
- استورد المصريون العاج، الذهب، ريش النعام، جلود الأسود والفهود، البخور، الصمغ من بلاد النوبة.
- أما بلاد بونت فجلبوا منها البخور، الروائح العطرية، الصمغ أنواع من المعادن، وازداد صلات مصر مع بلاد بونت وبلغت ذروتها في عصر الدولة الحديثة وبالتحديد عصر الملكة "حتشبسوت"، وتُعد الرحلة التجارية التي أمرت بها هذه الملكة نحو بلاد بونت هي الرحلة الوحيدة أو بالأحرى النشاط التجاري الخارجي الوحيد الذي سُجّل بالمشاهد والنقوش على جدران معبد "حتشبسوت" في الدير البحري، تحضير السفن ومراحل الرحلة وغيرها، كما صورت هذه المناطق وأهلها ونباتاتها، وما أحضره المصريون منها كسبائك الذهب، الأخشاب، الفهود، أشجار البخور بجذورها لإعادة زرعها في مصر.
- كما كانت تربط مصر علاقات تجارية مع بلاد الرافدين وليبيا ومناطق من آسيا والبحر الأبيض المتوسط.

الصادرات:

كانت مصـر أول مصـدر لورق البردي غالي الثمن، لأنه الوسـيلة الأسـهل للتدوين في تلك الفترة، كما كانت تصـــدر بضـــائع متنوعة مثل أنواع من الأســـلحة كالخناجر وفؤوس القتال، الأواني الفخارية والحجرية، معدن النحاس، التماثيل، الجعارين، أنواع من الحلي، المصنوعات الكتانية وغيرها[1].

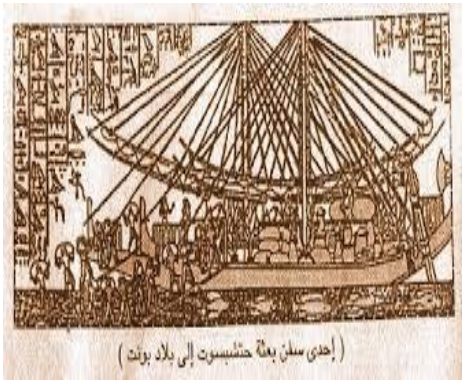

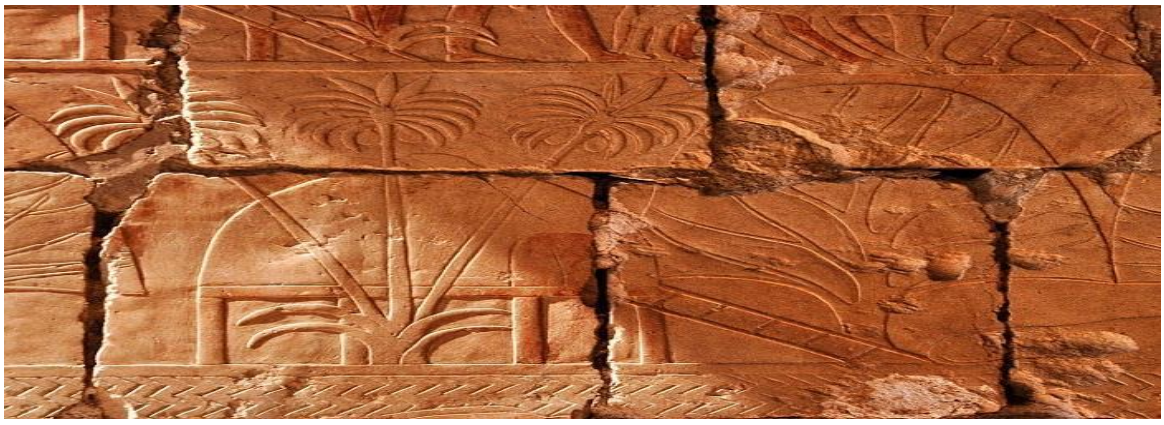

مناظر من رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت

[1] للتفصيل في النشاط التجاري والتجارة مع بلاد بونت. انظر: عبد الفتاح محمد وهيبة، المرجع السابق. وانظر: بلقاسم رحماني – حرفوش مداني، الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الافريقي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997.